

سيرة المسيح

الكتاب السادس: دخوله أورشليم

الدكتور جورج فورد

Call of Hope . Stuttgart . Germany

سيرة المسيح الكتاب السادس:

دخوله أورشليم

بقلم الدكتور جورج فورد

الطبعة الأولى ١٩٨٦

جميع الحقوق محفوظة

All rights reserved

Order Number SPB 7356 A

German Title: Sein Einzug in Jerusalem (Heft 6)

English Title: His Entry into Jerusalem (booklet 6)

Call of Hope · P.O.Box 10 08 27 · 70007 Stuttgart · Germany

في هذا الكتاب

- هذا الكتاب ٥
- ١ - المسيح يبحث عن الضال ٦
مثل الخروف الضال ٦
مَثَل الدرهم المفقود..... ٧
مَثَل الابن الضال ٩
الابن الأكبر ١٤
- ٢ - المسيح يروي مَثَلين ١٧
مثل الوكيل الظالم ١٧
مثل الغني ولعازر ١٩
- ٣ - المسيح يُقيم لعازر من الموت ٢٢
- ٤ - لقاءات وأحاديث للمسيح ٣٠
شفاء عشرة بُرص ٣٠
سؤال عن الملكوت ٣١
مَثَل عن ضرورة الصلاة المتواضعة ٣٢
رأي في الأطفال ٣٤
حديث مع شاب غني ٣٥
مَثَل فعلة الكرم ٣٨
إعلان جديد عن الصليب ٣٩
المسيح يخلص زكا ٤١
المسيح يزور بيت لعازر ٤٢
- ٥ - المسيح الملك يدخل أورشليم ٤٥
المسيح يبكي على أورشليم ٤٨
- ٦ - المسيح يظهر الهيكل ٥١
المسيح يلعن التينة غير المثمرة ٥١
المسيح يظهر هيكله ٥٢
سؤال عن سلطان المسيح ٥٤
مثل الابنين ٥٥

- ٥٦ مَثَل الكرامين الأريدياء
- ٥٧ مَثَل عرس ابن الملك
- ٦٠ - ٧ - **المسيح يجاوب على أسئلة شيوخ اليهود ثم يسألهم**.....
- ٦٠ ما لقيصر لقيصر
- ٦١ إله أحياء، لا إله أموات
- ٦٣ الوصية العظمى
- ٦٤ قال الرب لربي
- ٦٥ المسيح يمدح عطاء الأرملة
- ٦٦ اليونانيون يطلبون المسيح
- ٦٩ - ٨ - المسيح يعلن أموراً آتية
- ٦٩ علامات كاذبة على خراب أورشليم
- ٧١ علامات صحيحة على خراب أورشليم
- ٧٤ مجيء المسيح ثانية
- ٧٥ زمن خراب أورشليم
- ٧٧ اسهروا
- ٧٧ مثل العذارى العشر
- ٧٩ مثل الوزنات
- ٨٠ يوم الدينونة العظيم
- ٨٢ شيوخ اليهود يتآمرون
- ٨٥ - ٩ - **المسيح يرسم فريضة العشاء الرباني**.....
- ٨٦ المسيح يغسل أرجل تلاميذه
- ٩٠ المسيح يأكل الفصح
- ٩٤ ضرورة العشاء الرباني
- ٩٦ تشجيع لبطرس
- ٩٨ - ١٠ - **خطاب المسيح في العلية (يوحنا ١٤-١٦)**.....
- ٩٩ مَثَل الكرمة
- ١٠١ المسيح يصلي لأجل تلاميذه (يوحنا ١٧)
- ١٠٣ مسابقة الكتاب

هذا الكتاب

يسر أسرة «نداء الرجاء» أن تصدر هذا الكتاب عن حياة السيد المسيح، في سبعة أجزاء.

وقد كتب هذا الكتاب في مجلد واحد باللغة العربية الدكتور جورج فورد في أوائل العشرينات من هذا القرن، بعنوان «كتاب القول الصريح في سيرة يسوع المسيح».

وقد قام محررو نداء الرجاء بإعادة كتابته في الصورة التي تراها الآن.

ونحن نأمل أن يتعرّف القارئ الكريم على المسيح بطريقة شخصية، وأن يكون شعاره «نحن نحبه لأنه هو أحببنا أولاً».

أسرة «نداء الرجاء»

١ - المسيح يبحث عن الضال

تذمر الفريسيون والكتبة في أحد الأيام على المسيح وقالوا عنه: «هذا يقبل خطاة ويأكل معهم». فقَدَّم لهم ثلاثة أمثال تبيِّن أن شر الأشرار لا يمنع المحبة الإلهية الأبوية عنهم، لأنه عند وقوع البنين في أشراك إبليس يشتعل الحبُّ الأبوي مضاعفاً أسفاً على تعاستهم، ورغبة في تخليصهم منها. وهذا ما نراه في الأب الذي له ولد قاصر أو مريض أو معتوه أو شارد. فتوبة الشرير عريضة جداً عند الله، وعند جميع البشر الصالحين.

مثل الخروف الضال

• «وَكَانَ جَمِيعُ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ يَذْنُونَ مِنْهُ لِيَسْمَعُوهُ. فَتَذَمَّرَ الْفَرِيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائِلِينَ: «هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ». فَكَلَّمَهُمْ بِهَذَا الْمَثَلِ: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةٌ خُرُوفٍ، وَأَضَاعَ وَاحِداً مِنْهَا، أَلَا يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالْتِسْعِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ، وَيَذْهَبُ لِأَجْلِ الضَّالِّ حَتَّى يَجِدَهُ؟ وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكَبِيهِ فَرِحاً، وَيَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ وَيَدْعُو الْأَصْدِقَاءَ وَالْجِيرَانَ قَائِلاً لَهُمْ: أَفْرَحُوا مَعِي، لِأَنِّي وَجَدْتُ خُرُوفِي الضَّالَّ. أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ فَرْحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَاراً لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ» (لوقا ١٥ : ١-٧).

صاغ المسيح أول الأمثال الثلاثة في قالب الاستفهام، عندما سأل سامعيه: من منكم له مئة خروف وأضاع واحداً منها؟». فكأنه في هذا السؤال يبيِّنهم كرعاة الشعب على أنهم أهملوا الضالين، واكتفوا بالتسعة والتسعين التي يعتبرونها غير ضالة، وحسبوا أن الضال يستحق ما هو فيه من العذاب والخطر والهلاك.

يقدم المسيح نفسه كالراعي الصالح الأمين المحب، الذي يبذل كل جهد في

تفتيشه عن كل نفس ضالة بمفردها، بل يرثي لضعفها ويحنّ لشفائها ويحملها على كتفيه فرحاً، ويأتي بها إلى بيته، وبهذا يميّزها عن التي لم تضلّ، ثم يدعو للاشتراك معه في فرحه الملائكة والقديسين في السماء، الذين يفرحون بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة.

فمن يتجاسر أن يصف حوادث السماء، وكيفية أفراح أهلها؟ لا حقّ لأحد في ذلك إلا المسيح الذي كان منذ الأزل في حضن الآب، وقد نزل من السماء. ومن هم الذين يصفهم بالتسعة والتسعين باراً الذين لا يحتاجون إلى توبة؟ ليسوا ملائكة. لأنه يقول إن الملائكة لا تفرح بهم كفرحها بالضال التائب. وليسوا بشراً صالحين، لأن الرسول بولس يقول: «لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ. أَلْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا مَعاً» (رومية ٣: ١٠، ١٢). إذاً هم الذين يتوهّمون ويدّعون خطأ أنهم أبرار. وهذا ما كان يفعله سامعو المسيح من الفريسيين، ويفعله خلفاؤهم في كل جيل.

لكن على فرض أن هؤلاء كانوا أبراراً ولم يضلّوا، واعتُبرت قيمتهم مئة ضعف العشارين والخطاة والضالين، فإن الراعي السماوي لا يكتفي بهم ويترك المحترقين والمرفوضين منهم، بل إنه يُسرّ بتوبة خاطئ واحد أكثر من الفرائض المقدسة التي يمارسها الرؤساء في الهيكل في صلوات وأصوام وتقدمات، لأنه جاء من السماء ليخلص الخطاة. ثم أنه لا ينتظر الخطاة ليأتوا إليه أولاً، بل هو يقصدهم ويجدهم ويحثهم على الرجوع إلى الله وإلى بيت أبيهم الأصلي الحقيقي. فلو كان الفريسيون مثل أهل السماء لفرحوا بما فرح له أهل السماء. والخاطئ الذي يعرف أن توبته تجعل أجراس السماء تفرع فرحاً، يجد دافعاً قوياً وشريفاً يسرع به إلى المخلص.

مَثَلُ الدَّرْهِمِ الْمَفْقُودِ

• «أَوْ آيَةٌ أَمْرَاةٍ لَهَا عَشْرَةٌ دَرَاهِمَ، إِنْ أَضَاعَتْ دِرْهَمًا وَاحِدًا، أَلَا تُوقِدُ سِرَاجًا وَتُكْنِسُ الْبَيْتَ وَتُفْتَشُ بِأَجْتِهَادٍ حَتَّى تَجِدَهُ؟ وَإِذَا وَجَدْتَهُ تَدْعُو الصَّدِيقَاتِ

وَالجَارَاتِ قَائِلَةً: أَفَرَحَنَ مَعِيَ لِأَنِّي وَجَدْتُ الدِّرْهَمَ الَّذِي أَضَعْتُهُ. هَكَذَا
أَقُولُ لَكُمْ يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ بِخَاطِيٍّ وَاحِدٍ يَتُوبُ» (لوقا ١٥ :
٨-١٠).

في المثل الثاني يصوّر المسيح للنساء بين سامعيه عملاً بيتياً، ويجعل النسبة بين الضالين وغير الضالين كواحد إلى عشرة، فيعظم نسبة قيمة الخاطيء. ويوضح خسارة المالك السماوي الذي له الأرض وملؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها (مزمور ٢٤ : ١). في المثل أضاعت المرأة درهماً من عشرة، وبعد التفتيش بواسطة تكتيس البيت على ضوء السراج، نجحت، ففرحت جداً بالعثور على الدرهم كما فرح صاحب الخروف، وأشركت الآخرين معها أيضاً في الأفراح.

يجوز القول إن المرأة تمثل الكنيسة، كما مثل الراعي المسيح رأس الكنيسة. فكنيسة المسيح الحقيقية تسير على حُطَّته، لأنه يقودها بروحه، ولذلك تفتش بكل اجتهاد على التائهين في قفار الخطية. والسراج الموقد بيدها هو كتاب الوحي الذي قال فيه داود: «سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلَامُكَ وَنُورٌ لِسَبِيلِي» (مزمور ١١٩ : ١٠٥). والكنيسة تَصُدِّقُ في اعترافها: «الدرهم الذي أضعته» لأن كثيراً من دم الهالكين يُطلب من الفاترين في الكنيسة، ومن الكنيسة إجمالاً بسبب تقصيرها. والراعي محقّ في قوله «خروفي» أما المرأة فلا تقول «درهمي» لأن الملك ليس للكنيسة بل للمسيح رئيسها.

علمّ المسيح في هذين المثليين أن مصدر الخلاص هو ما يعمله الله في طلب الخاطيء، لا عمل الخاطيء في طلب الخلاص، لأن طلب الخاطيء للخلاص هو نتيجة لعمل الله في قلبه. فليس في الدين قولٌ جوهرى أكثر من القول إن الأصل في الدين ليس ما يعمله الإنسان لأجل الله، بل ما يعمله الله لأجل الإنسان.

مثل الابن الضال

• «وَقَالَ: «إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانِ. فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لِأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ. وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الْابْنُ الْأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَدَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ. فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، حَدَّتْ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ، فَأَبْتَدَأَ يَحْتَاجُ. فَمَضَى وَالتَّصَّقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيُرْعَى خَنَازِيرَ. وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلَأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخَرْثُوبِ الَّذِي كَانَتْ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ. فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لِأَبِي يُفْضِلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعاً! أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَّمَكَ، وَاسْتُ مُسْتَحَقًّا بَعْدَ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ. فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيداً رَأَهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ الْابْنُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَدَّمَكَ، وَاسْتُ مُسْتَحَقًّا بَعْدَ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. فَقَالَ الْأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْخَلَّةَ الْأُولَى وَالْبَسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتِماً فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَأَذْبَحُوهُ فَنَأْكُلْ وَنَفْرَحَ، لِأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيْتاً فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاً فُوجِدَ. فَأَبْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ» (لوقا ١٥: ١١-٢٤).

أما المثل الثالث فإنه الدرّة الفريدة بين أمثال المسيح كافة، وفيه تشبيهة لعمل الأولاد في العائلة، تنبيهاً للأولاد بين سامعيه. ويوضح ما لم يُعلن في المثليين السابقين من عظمة مسؤولية الذين يضلون عن الله وشرائعه. ونلاحظ أن هذا المثل يمتاز على المثليين الآخرين في القيمة التي يعطيها للضالين، لأن نسبتهم كواحد إلى واحد، ويمثلهم بالابن العزيز الأصغر، لا بمعدن أو حيوان، كما أنه يوضح ضرورة العمل الإلهي الاساسي في الرجوع إلى الله بالتوبة والإرادة الحرّة، الأمر الذي هو ثمر العمل الإلهي الاساسي في التفتيش عن الضالين وفتح

الباب لخلاصهم. فضَمَّ المسيح هذه الأمثال الثلاثة إلى عقد واحد، ليشرح لنا أمر الخلاص شرحاً وافياً.

حَصَرَ المسيح الشعب اليهودي الذي خَصَّه بخدمته في صنفين، يمثِّلهما ابنا لأب واحد. فالابن الأكبر (الذي له شرعاً نصيبٌ مضاعف في الإرث) يمثِّل الذين يحافظون على صورة الدِّين، وهم في أعين الناس، وأعين أنفسهم، أهل الدين والأمانة لله، لأنهم يحفظون بتدقيق فرائض الدين الخارجية، ولا يتيهون علانية في برية الآثام والمعاصي.

ويمثِّل الابن الأصغر سائر أبناء الأمة، الذين يتبعون الأهواء المنكرة ولا يتقيدون بفروض الدين فينكرون المراحم الإلهية ويستخدمون عطايا الرب لهم في العصيان عليه، ويرفضون حرية البنوة الشريفة، إذ يبتعدون عن الله عمداً وظاهراً. لذلك يضلون دون خجل ودون تردد عن كتاب الله وعن عبادته وعن شعبه، فيبتعدون بذلك عن القداسة والسلامة والسعادة، وبالتالي عن صالحهم وصالح من هم حولهم في الدنيا والآخرة.

ضلَّ هذا الابن الأصغر عن بيت أبيه، وعن أخيه الوحيد، وعن العناية الأبويَّة، وعن خيرات وطنه، وعن المعشر الصالح، وعن العمل لزيادة الثروة التي تأتيه بالإرث من أبيه. ملَّ ونفر من القيود البيئية الشريفة، والسلطة الأبويَّة المكرَّمة، واشتهى أن يحكم نفسه بنفسه، وأن يضلَّ في الملذات الفاسدة بين الأشرار، فشقَّ عصا الطاعة البنويَّة وعزم على الابتعاد عن أبيه، ليتصرف كما يشاء. فطلب من أبيه - وهو لا يزال حياً - نصيبه من الميراث.

ترك روح البنوة الذي يقول: «أبانا الذي في السموات. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم». وطلب دفعة واحدة كل نصيبه من أبيه، ليستقلَّ عنه تماماً. وهذا حال الخاطئ الذي يعيش لنفسه، دون نظر إلى إرادة الله، ويتباهى باستقلاله عن الرب مقتخراً بما يعيبه. ولما كانت الطاعة الإجبارية لا تحلو لأبٍ محب، وافق أبوه على

طلبه، وأعطاه نصيبه من الميراث، كما نرى ذلك في معاملة الله للأشرار الذين يعطيهم من عنايته الفياضة خيراتٍ أرضية جزيلة حسب ما يرغبون. ولكن هذه العطايا ليست علامة الرضى الأبوي. ومع أن هذا الجاهل انفصل قليلاً عن أبيه، فإنه لم ينصرف حالاً من بيت أبيه، بل قضى في بيت أبيه أياماً سافر بعدها. هكذا الخاطئ أيضاً لا يبدأ حالاً بالانفصال الكلي عن الله، بل يصل إلى ذلك تدريجياً. في البلدة البعيدة التي سافر إليها هذا الشاب، أطلق العنان للأهواء الفاسدة، حيث ليس من يردعه أو يُخجله أو يذكره بماضيه الصالح وأصله الشريف، وفيها بَدُرَ ماله بإسراف، حتى افتقر تماماً. واتفق عند فراغ جيبه حدوث مجاعة هناك، مما قسَّى قلوب أصحابه عليه، وقطع عنه القوت الضروري.

نتصَّوره في غربته يراعي بعض تقاليد شعبه في الأمور الخارجية، لكن لما عَضَّ الجوع، لجأ إلى الخدمة عند صاحب خنازير، أرسله ليرعى خنازيره، فضحَّى بدينه في سبيل جوعه، ورضي بالنجاسة ليشبع، ولما كان يعود بالخنازير مساءً إلى مأواها كان صاحبها يعطيها عشاءها من الخرنوب، ليسدَّ به ما نقصها في المرعى بسبب القحط. وكان هذا المسكين يشتهي من شدة جوعه أن يتساوى مع هذه الحيوانات النجسة ويملاً بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله، ولم يعطه أحد.

كثيراً ما يستخدم الله الشدائد ليرجع الناس إليه، لكن كثيرين تزيدهم الشدائد بعداً عنه. فما يقصده الله بركة للخلاص يحولونه لعنة للهلاك، والذي تردُّه الشدائد إلى بيت أبيه يبرهن بنويته الحقيقية. ولقد وجد الابن الضال في وسط محنته باب الخلاص، لأن الدخول إلى الخلاص، يكون أحياناً من باب اليأس.

لا يزال الابن الضال ابناً، وأبوه لا يزال أباً. وكما أن الطاعة لم تصيِّره ابناً، هكذا عصيانه لا يقطع هذه العلاقة التي هي وضع إلهي، لا يلاشيها إلا الموت. ولا يخفى أن في صدر كل خاطئ من بني البشر ومضة من البنوَّة لله. فمهما هبط

شر الناس في حمأة الإثم، ومهما علت جبال خطاياهم، فهذه الومضة المباركة لا تنطفئ ما داموا على قيد الحياة، ما لم يميتها عمداً بتجديفهم على الروح القدس، الذي وحده يوقظها ويحييها، ليلجأ صاحبها إلى المخلص الوحيد وينال الخلاص. رجع هذا الشاب إلى نفسه لأن الفقر الشديد أعاد إليه الرشد، فكان رجوعه إلى نفسه مقدمة لرجوعه إلى بيت أبيه. فلما عقد النية على هذا الرجوع كان تائباً متواضعاً واثقاً من رحمة أبيه.

ظهرت توبته في الكلام الذي أعده ليقوله لأبيه عند المقابلة: «يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك». شعر أن خطيته ليست ضد أبيه فقط، بل بالأكثر ضد الله. ولا يُسمّى عملٌ ما خطيئة بالنسبة إلى حقوق الناس فقط، بل النسبة إلى حقوق الله أيضاً.

وظهر صدق تواضعه في شعوره أنه أضاع كل حقوقه الأصلية، فطلب أن يعتبره أبوه أجيراً، ويكون قبول أبيه له كأجير فضلاً من أبيه عليه.

وظهر صدق إيمانه في رافة أبيه في أنه قام وذهب غير خائف أن يطرده أبوه، مع أنه لا يستحق إلا الطرد.. وهذا الإيمان شرط لازم للتوبة، فالتوبة دون إيمان تكون فارغة، وتبقى ندامة فقط. والندامة لا تؤدي إلى الخلاص بدون التوبة الحقيقية. فالابن لم يعزم فقط على الرجوع، بل رجع. فأى نفع في أحسن عزم إن لم يخرج إلى حيز الفعل؟

وفيما هو يقترب من بيت أبيه كان قلب هذا الوالد ملتهباً بالحب الشديد لهذا الشارد، وعيناه تراقبان الطريق التي ذهب فيها، متوقعاً عودته تائباً، لأنه عانى من أجل ابنه الضال كثيراً. وكان ثمر مراقبته الدائمة أنه رأى ابنه، إذ كان لم يزل بعيداً، فلم ينتظر وصوله، ولم يفكر في أن يذله أو يعيره، ولم يذكر سيئاته لأنه يعلم أن الاستعباد لإبليس هو أعظم المصائب التي تدعو للشفقة. فهل يزيد عذاب ابنه بتأنيبه على ما مضى؟ إن القصد من التأنيب هو تحريك الضال للتوبة، فمتى

ظهرت التوبة لا تعود للتائب حاجة.

ظهر الجمال الأبوي بكل معناه في هذا الأب، في القول إنه تحزن لما رأى ابنه. وهكذا لا ينتج خلاص الخاطئ عن مجرد الإشفاق الإلهي، بل عن محبة الأب لابنه الشارد في قفر الهلاك الروحي، والمقيّد بسلاسل عدوه إبليس. هذا الابن هو من صُلب أبيه مهما شرد وأضاع المشابهة له. وهو يحمل اسم أبيه مهما لطح شرف هذا الاسم، وهو وارث بيت أبيه مهما بذر من إرثه في المعاصي.

يتأنى الخالق سبحانه في كل شيء إلا في ملاقاته الخاطئ التائب، فالإشارة الوحيدة في الكتاب للاستعجال الإلهي وردت في هذا المثل، لأن المسيح قال عن هذا الأب إنه «تحزن وركض» ليلاقى ابنه، وقابله مقابلة محبّ حنون. نسي كل تاريخه المعيب إذ وقع على عنقه وقبله، بالرغم من حالته القذرة. وعوّض له عن خسارته وشقائه في الماضي باهتمام يفوق اهتمامه بابنه الذي لم يضل. ولم ينتظر الأب حتى يبرهن ابنه عن صدق توبته بسلوك حسن لمدة طويلة، ولكنه صالحه فوراً، لتكون طاعته المتواصلة بعد المصالحة والمغفرة والإكرام برهاناً أفضل لصحة توبته من الطاعة التي يقدمها للحصول على الإنعامات الأبوية. كما أن المغفرة التي تُعطى للخاطئ قبل الطاعة التامة، تكون نعمة إلهية، وكرماً، أكثر من التي تُعطى جزاءً بعد الطاعة.

ما أجمل هذه المقابلة الحبية الحارة التي فاق سرور الأب الصالح فيها على سرور ابنه التائب. لقد تجدد عزم الابن على التوبة لما وجد عواطف والده القوية وغفرانه المجاني. هكذا الخاطئ التائب يتأثر من الغفران الإلهي المجاني الحالي الكامل، وتزيد توبته الصادقة وتتقوى. ومن المستحيل أن يولد فيه هذا الغفران طمعاً في الحلم الإلهي ليؤجل إصلاح سيرته ويتساهل مع ميوله الشريرة، لأن هذا الغفران يكون روابط جديدة بينه وبين إلهه، تجعله يبتعد عن كل ما لا يُرضي الله.

عند هذا اللقاء بدأ الابن الضال بالقول الذي رتبته لما رجع إلى نفسه، وهو بين

الخنازير. لكن الأب اكتفى بالمقدمة وقاطعه في الكلام قبل وصوله إلى الطلب أن يكون أجيراً عنده، وأسرع يأمر عبده أن يخدموه كالابن الأصغر الأعزّ. فأعيدت إليه حقوقه في البيت مضاعفة. فبدلاً من الخرق القذرة الرثة التي أتى فيها أتوه بالحلة الأولى، وبأفخر الموجود، إشارةً إلى صفاته الجديدة. هكذا يفعل الله مع الخاطئ التائب، إذ يمنحه ثوب البر ورداء الخلاص ليستره، فيظهر أمام الله مبرراً مطهراً يمجّد مخلصه (إشعياء ٦١ : ١٠). ثم أمر الأب بإعطاء ابنه الخاتم، علامة السلطان البنوي الذي يخوّله حق الختم عن أبيه في المعاملات الرسمية. وفي هذا إشارة إلى السلطان الروحي الذي يهبه الروح القدس لجلوله في التائبين. وأمر له بحذاء ليتمكن من السعي الجدي في أعمال بيت أبيه، وفي هذا إشارة إلى الوقاية الروحية التي يحصل عليها كل تائب حقيقي. ثم أكمل الأب احتفائه بتوبة ابنه بأن جهز وليمة يأكل فيها ابنه أفخر مأكولات البيت، تعويضاً عن آلام الجوع في ما مضى.

وشرح الأب لعبده سبب كل ذلك بقوله: «لأن ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد». اعتبر الأب توغّل ابنه في الشرور موتاً أديباً وروحياً، كما أن غيابه أشبه بالموت الجسدي. فكان رجوعه كمن يقوم من قبره. فالخطية وليس موت الجسد هي الموت الحقيقي.

الابن الأكبر

• «وَكَانَ ابْنُهُ الْأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرَّبَ مِنْ أَلْبَيْتِ، سَمِعَ صَوْتَ آلَاتِ طَرَبٍ وَرَقْصَاءَ، فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ الْغُلَمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ: أَحْوَكُ جَاءَ فَدَبَحَ أَبُوكَ أَلْعِجْلَ الْمُسَمَّنِ، لِأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِمًا. فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. فَقَالَ لِأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدُمُكَ سِنِينَ هَذَا عَدْدَهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدِيًّا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لِأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هَذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ

الرَّوَانِي، دَبَحَتْ لَهُ أَعْجَلَ الْمُسَمَّنَ. فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِيَ فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسِرَّ، لِأَنَّ أَخَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ» (لوقا ١٥: ٢٥-٣٢).

وبينما كانت الأفراح قائمة في البيت عاد الابن الأكبر في آخر النهار من الحقل. وتعجب إذ سمع أصوات الطرب وما يتعلق بها دون داعٍ يعلمه لذلك، فظهر على حقيقته السيئة، إذ لم يدخل ببساطة قلب فرحاً لما سيجده في بيته، بل دعا أحد الخدم بسوء ظنٍ وخبث، وسأله عن الموضوع. وعند ذلك هاج حُمقاً وحسداً ورفض أن يدخل ليشارك في سرور أبيه وأخيه.

حقاً إنه لا يوجد في هذه الدنيا أفراح إلا وترافقها أكرار، كثيراً ما يسببها الأقربون. صوّر المسيح في الابن الأصغر العشارين والخطاة الذين فتح لهم الله باب التوبة للخلاص فدخلوا. وصوّر في الابن الأكبر أصحاب التدين الفارغ الذين بدلاً من الفرح لاهتداء الضالين يتذمرون لأجل رجوعهم. لم ير الابن الأكبر في أخيه إلا العيوب، حتى أنه لم يرض أن يسميه أخاه، بل قال لأبيه: «ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني».

قد يكون كلامه صدقاً، لكن ليس الصدق كله، لأنه سلب أخاه فضيلة التوبة، وفي كبريائه لم ير في ذاته إلا الفضائل، إذ قال لأبيه: «ها أنا أخدمك سنين هذا عددها، وقط لم أتجاوز وصيتك». فلو فرضنا أنه صادق في هذا القول فإنه ليس الصدق كله، لأن أفكاره في خدمته لأبيه ظهرت في قوله: «وجدياً لم تعطني قط لأفرح مع أصدقائي». استاء من فرح أبيه، وسيطرت الأنانية على روحه وتصرفاته، فوضعت بينه وبين أبيه هوةً وابتعاداً أكثر مما وضعه الابن الأصغر في ذهابه إلى كورة بعيدة وشروبه هناك. لكن أباه لم يعامله حسب استحقاقه، بل خرج إليه، وتنازل بدلاً من أن يوبخه أو يتركه. حتى بعد أن أهانه بتوبيخ مرّ، وبشيء من الاحتقار، أجابه بمحبة: «يا بني أنت معي في كل حين. وكل ما لي فهو لك».

فالدليل من هذا أن الله لا يمنع الحب الإلهي والرحمة حتى عن المتكبرين القساء، بل يمتّعهم بكل وسائل التوبة والإيمان كما يفعل مع الخطاة وأكثر. ما عليهم إلا أن يتوبوا ويتركوا شرورهم كما فعل العشارون والخطاة قبلهم.

وتنتهي رواية هذا المثل دون أن نجد ذكراً لتوبة الابن الأكبر. لكننا نعلم أن الذين مثّلهم (وهم الرؤساء والفريسيون) لم يتوبوا، بل استمروا مُصرّين على خطئهم، وعلى الحسد الذي جعلهم يسلّمون المسيح إلى بيلاطس للصلب، وعلى البُغض الذي ظهر في محاكمته أمام رؤسائهم، ومعاملتهم القاسية له.

نتعلم من قصة الابن الأكبر أن المتكبر الذي يتكل على صلاحه ليتبرر أمام الله هو أبعد عن الله وعن السماء من الشرير الذي شرّه ظاهر ولا يدّعي الصلاح، لأن الأمل في إصلاح الشرير أقوى، فإن الرياء والكبرياء من أكبر الموانع في سبيل الخلاص. وبسببها امتنع الفريسيون عن الإيمان والخلاص بالمسيح. وبسببها يعثر الكثيرون الآن. وفي مثل الابن الضال نرى التعليم الإلهي أن الله يعتبر إصرار الضال على ضلاله خسارة عليه كما أن رجوعه عن ضلاله ربّح وسرور لله. فما أعجب هذا الحب والتنازل الإلهي! وما أعظم هذا الباعث للامتناع عن الخطية!

٢ - المسيح يروي مثلين

مثل الوكيل الظالم

• «وَقَالَ أَيْضاً لِتَلَامِيذِهِ: «كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ لَهُ وَكِيْلٌ، فَوُضِيَ بِهِ إِلَيْهِ بَأْتُهُ يُبَدِّرُ أَمْوَالَهُ. فَدَعَاهُ وَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا الَّذِي أَسْمَعُ عَنْكَ؟ أَعْطِ حِسَابَ وَكَالَتِكَ لِأَنَّكَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَكُونَ وَكِيْلًا بَعْدُ. فَقَالَ الْوَكِيْلُ فِي نَفْسِهِ: مَاذَا أَفْعَلُ؟ لِأَنَّ سَيِّدِي يَأْخُذُ مِنِّي الْوَكَالَةَ. لَسْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْقُبَ وَأَسْتَحِي أَنْ أَسْتَعْطِي. قَدْ عَلِمْتُ مَاذَا أَفْعَلُ، حَتَّى إِذَا عَزَلْتُ عَنِ الْوَكَالَةِ يَقْبَلُونِي فِي بُيُوتِهِمْ. فَدَعَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ مَذْبُونِي سَيِّدِهِ، وَقَالَ لِلأَوَّلِ: كَمْ عَلَيْكَ لِسَيِّدِي؟ فَقَالَ: مِئَةٌ بَتٍّ رَيْتٍ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ صَكَكَ وَاجْلِسْ عَاجِلاً وَارْكُتْ خَمْسِينَ. ثُمَّ قَالَ لِآخَرَ: وَأَنْتَ كَمْ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: مِئَةٌ كُرٍّ قَمْحٍ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ صَكَكَ وَارْكُتْ ثَمَانِينَ. فَمَدَحَ السَّيِّدُ وَكِيْلَ الظُّلْمِ إِذْ بِحِكْمَةٍ فَعَلَ، لِأَنَّ أَبْنَاءَ هَذَا الدَّهْرِ أَحْكَمُ مِنْ أَبْنَاءِ النُّورِ فِي جِيلِهِمْ. وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اصْنَعُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ الظُّلْمِ، حَتَّى إِذَا فَنِيْتُمْ يَقْبَلُونَكُمْ فِي الْمَظَالِ الْأَبَدِيَّةِ. الْأَمِينُ فِي الْأَقْبَالِ أَمِينٌ أَيْضاً فِي الْكَثِيرِ، وَالظَّالِمُ فِي الْأَقْبَالِ ظَالِمٌ أَيْضاً فِي الْكَثِيرِ. فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أَمْنَاءَ فِي مَالِ الظُّلْمِ، فَمَنْ يَأْتِمُنْكُمْ عَلَى الْحَقِّ؟ وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أَمْنَاءَ فِي مَا هُوَ لِلْغَيْرِ، فَمَنْ يُعْطِيكُمْ مَا هُوَ لَكُمْ؟ لَا يَقْدِرُ خَادِمٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الْآخَرَ، أَوْ يُلَازِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَّ الْآخَرَ. لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللَّهَ وَالْمَالَ» (لوقا ١٦: ١ - ١٣).

روى المسيح مثلاً يصور غنياً دعا إليه وكيله، ومدير أملاكه، وطلب منه الحساب، وأعلن له عزله بسبب شكوى أخته بأنه يبدّر أمواله. وطلب منه في

المحاسبة أن يقدّم صكوكاً يوقع عليها المزارعون، ويصدّق عليها هو باعتبار أنه الوكيل، تُبَيّن ما للمالك عند كل مزارع من حاصلات أملاكه. ولكن الوكيل الخائن لم يعترف بخيانتة ويستغفر ويتعهد بالإصلاح، بل أخذ يفكر في حيلة تنتفعه بعد طرده من الوكالة. فالسلطة الشيطانية التي تجعل الآثام تولّد آثاماً أخرى، جعلته يخترع خيانة جديدة أردأ من الأولى، لأنه دعا المزارعين إلى الغش معه. والذي يقود غيره إلى الخطأ تكون دينونته مضاعفة.

وأراد الوكيل الخائن أن يشتري لنفسه أصدقاء يعولونه في ضيقه بمال سيده، لقاء الأرباح التي تأتيهم بواسطته. فطلب من المزارعين أن يكتبوا صكوكاً بكميات أقل من الحق، ليصدّق عليها ويقدمها للمالك. وقدّم لضميره هذا العذر: «ماذا أفعل؟ لست أستطيع أن أنقب. وأستحي أن أستعطي». وكان أولى أن يقول: «لست أستطيع أن أختلس».

فلما اطّلع مولاة على هذه الخيانة الجديدة دُهِش لجسارته وفطنته. وحسب المثل السائر «أعط الشيطان حقه» مدحه على ما سمّاه «حكمة» في ما فعل. لم يمدح السيد الوكيل على الخيانة في عمله، لأنه أطلق عليه لقب «وكيل الظلم». ولو أنه مدحه على الخيانة لأرجعه إلى وكالته.

ثم ختم المسيح هذا المثل بقوله إن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم. وقدّم نصيحة لسامعيه أن يستعملوا ما لديهم من مال الظلم في خدمة الآخرين، ولا سيما في خدمة مصالحهم الروحية الأبدية.

ليس في هذا المثل تقديم أعداء لمن يجمع مالاً بالظلم أو بالخداع لينفقه كله أو بعضه في سبيل الخير والإحسان - فإن أفضل بابٍ للتخلص سريعاً من مال الظلم، متى وُجد، هو بذله في سبيل الخير. ولا سيما ما يمهدّ للذي يأخذه طريقه إلى السماء. لقد استخدم الوكيل في المثل مال الظلم ليربح له أصدقاء يقبلونه عندما يجيء عليه الضيق، فكم يجب أن يسعى الذي يريد أن يتخلص من مال الظلم

الموجود بين يديه، ليربح بواسطته أصدقاء يستقبلونه في الديار الأبدية؟ وإن كان وكيل الظلم اجتهد بالحرام ليحقق مستقبله الزمني، فكم يجب أن يجتهد كل حكيم ليحقق مستقبله الأبدي؟ والذي تظهر أمانته في الأمور الأرضية التي تُعَدُّ زهيدة، هذا يختاره الله ليرزقه الكنوز الأثمن كثيراً - أي السماوية.

مثل الغني ولعازر

• «كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الْأَرْجُونَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهاً. وَكَانَ مِسْكِينٌ لِعَازَرَ، الَّذِي طَرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوباً بِالْفُرُوحِ، وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفَتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ، بَلْ كَانَتْ الْكِلَابُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ فُرُوحَهُ. فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى حِصْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضاً وَدُفِنَ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْهَوَايَةِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِصْنِهِ، فَنَادَى: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ أَرْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيُبَلِّ طَرْفَ إِصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبْرِدَ لِسَانِي، لِأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللَّهَيْبِ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا ابْنِي أَدُكُرُ أَنَّكَ أَسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذَلِكَ لِعَازَرَ الْبَلَايَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ. وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُبْنِيتَ، حَتَّى إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ هُنَا إِلَيْكُمْ لَا يَقْدِرُونَ، وَلَا الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا. فَقَالَ: أَسْأَلُكَ إِذَا يَا أَبَتِ أَنْ تُرْسِلَهُ إِلَيَّ بَيْتِ أَبِي، لِأَنَّ لِي خَمْسَةَ إِخْوَةٍ، حَتَّى يَشْهَدَ لَهُمْ لِكَيْلَا يَأْتُوا هُمْ أَيْضاً إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ هَذَا. قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءُ. لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ. فَقَالَ: لَا يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ. بَلْ إِذَا مَضَى إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ يَتُوبُونَ. فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانُوا لَا يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءِ، وَلَا إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ» (لوقا ١٦: ١٩-٣١).

ثم روى المسيح مثلاً آخر عن غنيٍّ ينتعم كل يوم مترقهاً، وكان عند بابهِ رجل اسمه لعازر، مضروباً بالقروح ومطروحاً عند مدخل قصره ليلتقط طعامه من الفتات الساقط من مائدة الغني. وكان الدواء الوحيد لتنظيف قروحه هو السنة الكلاب عند الباب التي كانت تسابقه في التقاط الفتات. وأخيراً مات الرجلان، وأُكرما في موتهما إكراماً متخالفاً. فالغني دُفن بمزيد الاحترام البشري وحُرم النصيب السماوي. أما لعازر فلم يجد من يكرمه في دفنه، لكن الملائكة التي تحلُّ حول خائفي الله حملتهُ إلى حضن إبراهيم.

وفي الهاوية التي ذهبت روح الغني إليها، لعدم استعداده للسماء، رفع عينيه إلى النعيم ورأى سعادة لعازر هناك. فلم يجسر أن يطلب التخلُّص تماماً من عذابه في الجحيم، لكنه توهم أن تطيف آلامه ممكن. وعلم أن الاسترحام من العزة الإلهية عبثٌ بعد أن أهمل ربّه كل مدة حياته، فاستجد بإبراهيم زعيم مذهبه الأقدم، أب الأمة اليهودية وأب الآباء. كان قد تعود في حياته أن يحتقر لعازر، والآن يتوهم أن يستخدمه لتخفيف عذابه، فطلب من إبراهيم: «يا أبي إبراهيم، ارحمني وأرسل لعازر ليبلِّ طرف أصبعه بماء ويبرد لساني، لأنني معدَّب في هذا اللهب». انتهى الغني قطرة ماء من أصبع لعازر، الذي كان يشتهي على الأرض أن يجد فتات مائدة الغني.

فأجابه إبراهيم أن الذي يستوفي لذاته في الحياة الدنيا، غير مبالٍ بالأبدية، لا بد أن يأتيه يومٌ يعرف مقدار خسارته الجسيمة. فالذي يتمّ شروط نيل السعادة الأبدية لا يهّمه ما يصيبه في حياته الدنيا من النذل والعذاب لأن ساعة واحدة في حضن إبراهيم تعوّض كل ذلك، وتجعله ينساه. إن بين النعيم والجحيم هوة عظيمة مثبتة يستحيل اجتيازها. فلا يمكن أن يسقط إلى الجحيم من قد نال النعيم، ولا أن يرتقي إلى النعيم من ذهب إلى الجحيم.

ولما تأكد الغني أن تطيف عذابه مستحيل، تحوّل فكره إلى إخوته الخمسة الذين تركهم في الدنيا، فطلب من إبراهيم أن يرسل لعازر إليهم ليخبرهم بما أصابه

من العذاب، ويحذرهم من الانضمام إليه. فأجابه إبراهيم بما معناه أن حاجة إخوته العظمى ليست إلى زيادة البراهين العقلية، فإن الذين لا تكفيهم براهين الكتاب المقدس للإيمان لا يؤمنون مهما زيد لهم من البيّنات العجيبة. عدم الإيمان عمى روحي لا تزيّله البراهين الجديدة. كما أنه لا فرق عند الضرير بين درجات النور. فمهما زادت الشمس ضياء فلن يستتير بذلك.

ظن هذا الغبي أن إخوته الذين عرفوا لعازر في تعاسته على الأرض ينتبهون إذا رأوه آتياً من السماء ممجّداً، ليبلغهم تحذير أخيه المعبّد، فيتوبون ويطلبون الخلاص. لكن جواب إبراهيم فنّد زعمه هذا. نرى في هذا المثل إشارة إلى الارتباط الكلّي بين قسمي حياة الإنسان، وأن أحواله في الآخرة تتبع أحواله الروحية في الدنيا، وأن باب السماء لا يبقى مفتوحاً لغير التائبين بعد موتهم، وأن استجداد الإنسان في حياته بالقدّيسين في السماء لا فائدة منه على الإطلاق.

٣ - المسيح يُقيم لعازر من الموت

• «وَكَانَ إِنْسَانٌ مَرِيضاً وَهُوَ لِعَازِرُ، مِنْ بَيْتِ عَنِيَا مِنْ قَرْيَةِ مَرْيَمَ وَمَرْثَا أُخْتَهَا. وَكَانَتْ مَرْيَمُ، الَّتِي كَانَ لِعَازِرُ أَخُوهَا مَرِيضاً، هِيَ الَّتِي دَهَنْتِ الرَّبَّ بِطَيْبٍ، وَمَسَحَتْ رِجْلَيْهِ بِشَعْرِهَا. فَأَرْسَلَتْ الْأُخْتَانِ إِلَيْهِ قَائِلَتَيْنِ: «يَا سَيِّدُ، هُوَذَا الَّذِي تُحِبُّهُ مَرِيضٌ». فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ، قَالَ: «هَذَا الْمَرَضُ لَيْسَ لِلْمَوْتِ، بَلْ لِأَجْلِ مَجْدِ اللَّهِ، لِيَتِمَّجَدَ ابْنُ اللَّهِ بِهِ». وَكَانَ يَسُوعُ يُحِبُّ مَرْثَا وَأُخْتَهَا وَلِعَازَرَ. فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ مَرِيضٌ مَكَثَ حِينًا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ فِيهِ يَوْمَيْنِ» (يوحنا ١١: ١-٦).

جاء إلى المسيح رسول من بيت عنيا، من عند مرثا ومريم، ليلبغه أن لعازر أخاهم الذي يحبه مريض. لم تكن محبة أخيهما للمسيح هي الدافع على هذا الطلب، بل محبة المسيح لأخيهما، وهذه على الدوام لغة التقوى الحقيقية التي تعترف أن أساس السرور والرجاء والخلاص ليس في محبة الخاطئ للمخلص، بل في محبة المخلص للخاطئ. كانت مرثا ومريم تعلمان الخطر الذي يهدد حياة المسيح وحياة تابعيه إن اقترب من أورشليم بعد سفره منها، فلم تدعواه ليأتي إليهما ولربما تذكرنا أنه كان أحياناً يشفي من بعيد، فيكفي أن يعرف خبر مرض أخيهما ليأمر من حيث هو لأخيهما بالشفاء.

كان جواب المسيح على هذه الرسالة وجيزاً، دون تقديم عذر لعدم ذهابه مع الرسول. قال: «هذا المرض ليس للموت، بل لأجل الله، ليتمجد ابن الله به».

وعاد الرسول إلى بيت عنيا ليجد أن لعازر قد مات. ماذا كانت أفكار ذلك الرسول؟ لعله قال إن المسيح كاذب لأنه قال إن هذا المرض ليس للموت؟

تُرى ماذا قالت مريم ومرثا عن تأخير المسيح عنهما؟ هل أصابهما الشك في محبته لهما؟

وفي اليوم الثالث طالب المسيح تلاميذه أن يستعدوا للذهاب إلى اليهودية، فعارضوه أولاً بقولهم: «يا معلم، الآن كان اليهود يطلبون أن يرحموك، وتذهب أيضاً إلى هناك؟». احتاروا في هذا الأمر الجديد، لأنه لو كان ذهابه ضرورياً لشفاء لعازر، فلماذا لم يذهب حالاً؟ وإن كان غير ضروري فلماذا يخاطر بنفسه وبهم؟

واستخدم المسيح اعتراض التلاميذ ليعلمهم أن لا خوف على الذي يسير بإرشاد إلهي، لأن هذا هو النور، وعدمه الظلام. وقال لهم إنه يقصد بالذهاب إلى اليهودية أن يوقظ لعازر من النوم. ومن تسمية لعازر «حبيبنا» عرفنا لعازر شاباً ممتازاً في صفاته، يليق أن يكون صديقاً خصوصياً للمسيح وتلاميذه.

فكان جواب التلاميذ أن نوم لعازر علامة جيدة تدلّ على أنه يشرف على الشفاء. فلما رأى المسيح أنهم لم يفهموا كلامه أوضح الأمر بقوله: «لعازر مات». لقد أطلق المسيح على الموت «نوماً» لأن موت المؤمن وقتي، تعقبه يقظة القيامة والسعادة الأبدية.

أظهر المسيح لتلاميذه أن عدم وجوده في بيت عنيا ليشفي لعازر كان خيراً لهم، لأنه سيقوي إيمانهم تقوية عظيمة. لقد امتنع عن تقديم بركة الشفاء ليهب بركة أعظم جداً هي إقامة المريض بعد موته. وكثيراً ما يتعامل الله على هذا المنوال مع خائفيه. ويظهر أن التلاميذ تردّدوا في أمر الطاعة، لكن توما تحمّس أخيراً وقال: «لنذهب نحن أيضاً لكي نموت معه». فأظهر شدة حبه للمسيح واستعداده لأن يموت لأجله. هكذا بدأ سفر المسيح وتلاميذه إلى بيت عنيا.

• «فَلَمَّا أَتَى يَسُوعُ وَجَدَ أَنَّهُ قَدْ صَارَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ فِي الْقَبْرِ. وَكَانَتْ بَيْتُ عَنِيَا قَرِيبَةً مِنْ أُورُشَلِيمَ نَحْوَ خَمْسِ عَشْرَةِ غَلْوَةً. وَكَانَ كَثِيرُونَ مِنْ الْيَهُودِ قَدْ جَاءُوا إِلَى مَرْثَا وَمَرْيَمَ لِيُعَزُّوهُمَا عَنْ أُخِيهِمَا. فَلَمَّا سَمِعَتْ مَرْثَا أَنَّ يَسُوعَ آتٍ لَاقَتْهُ، وَأَمَّا مَرْيَمُ فَاسْتَمَرَّتْ جَالِسَةً فِي الْبَيْتِ. فَقَالَتْ

مَرَّثَا لِيَسُوعَ: «يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتَ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي. لَكِنِّي أَلَانَ أَيْضاً
أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَطْلُبُ مِنَ اللَّهِ يُعْطِيكَ اللَّهُ إِيَّاهُ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ:
«سَيَقُومُ أَخُوكَ». قَالَتْ لَهُ مَرَّثَا: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَقُومُ فِي الْقِيَامَةِ، فِي
الْيَوْمِ الْآخِرِ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي
وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الْأَبَدِ.
أَتُؤْمِنِينَ بِهَذَا؟» قَالَتْ لَهُ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ
ابْنُ اللَّهِ، الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ» (يوحنا ١١: ١٧-٢٧).

قبل أن يصل المسيح وتلاميذه بيت عنيا سمعت مرثا بقدمهم، فأسرت لملاقة
المسيح، تاركة أختها مريم تقوم بواجب المعزين الجالسين في البيت. ونستنتج من
هذا أن بيت لعازر كان بيت غنى وسخاء.

وما أن وصلت مرثا للمسيح حتى قالت له: «يا سيد، لو كنت ههنا لم يموت
أخي. لكني الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه». كان
إيمانها بالمسيح قوياً، لكن غير كامل، لأنه لما قال لها: «سيقوم أخوك» لم تتوقع
أنه سيقوم فوراً، بل أنه سيقوم مع سائر المؤمنين في اليوم الأخير. فأكرم المسيح
إيمانها رغم ضعفه كما يفعل على الدوام، وذلك بإعلان فائق إذ قال لها: «أنا هو
القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بي فلن
يموت إلى الأبد».

لكن من غير الله ينسب إلى نفسه صدقاً أن الموت والحياة يتوقفان على الإيمان
به، وأنه هو الحياة وهو القيامة؟ ومن يستطيع أن يصف أو يدرك مقدار التعزية
التي حصلت للمؤمنين من هذا الكلام منذ قاله المسيح إلى هذا اليوم؟ وستحصل
التعزية نفسها في المستقبل إلى أن يجيء بمجيئه الثاني العتيد المجيد، ويقوم
بصوته جميع الذين في القبور. لما سألت مرثا: «أتؤمنين بهذا؟» أجابت: «نعم يا
سيد، أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم». فكان كلامها الأول

زهر الإيمان، وهذا الثاني ثمره الذي نضج سريعاً.

• «وَلَمَّا قَالَتْ هَذَا مَضَتْ وَدَعَتْ مَرْيَمَ أُخْتَهَا سِرًّا، قَائِلَةً: «الْمُعَلِّمُ قَدْ حَضَرَ، وَهُوَ يَدْعُوكِ». أَمَّا تِلْكَ فَلَمَّا سَمِعَتْ قَامَتْ سَرِيعاً وَجَاءَتْ إِلَيْهِ. وَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ قَدْ جَاءَ إِلَى الْقَرْيَةِ، بَلْ كَانَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي لاقْتَنَهُ فِيهِ مَرْتًا. ثُمَّ إِنَّ الْيَهُودَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهَا فِي الْبَيْتِ يُعْزُّوْنَهَا، لَمَّا رَأَوْا مَرْيَمَ قَامَتْ عَاجِلاً وَخَرَجَتْ، تَبِعُوهَا قَائِلِينَ: «إِنَّهَا تَذْهَبُ إِلَى الْقَبْرِ لِتَبْكِي هُنَاكَ». فَمَرْيَمُ لَمَّا أَتَتْ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَسُوعُ وَرَأَتْهُ، خَرَّتْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَائِلَةً لَهُ: «يَا سَيِّدُ، لَوْ كُنْتُ هَهُنَا لَمْ يَمُتْ أَخِي». فَلَمَّا رَأَاهَا يَسُوعُ تَبْكِي، وَالْيَهُودَ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَهَا يَبْكُونَ، أَنْزَعَجَ بِالرُّوحِ وَأَضْطَرَبَ، وَقَالَ: «أَيْنَ وَضَعْتُمُوهُ؟» قَالُوا لَهُ: «يَا سَيِّدُ، تَعَالَى وَأَنْظُرْ». بَكَى يَسُوعُ. فَقَالَ الْيَهُودُ: «أَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ يُحِبُّهُ». وَقَالَ بَعْضُ مِنْهُمْ: «أَلَمْ يَقْدِرْ هَذَا الَّذِي فَتَحَ عَيْنِي الْأَعْمَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا أَيْضاً لَا يَمُوتُ؟» (يوحنا ١١: ٢٨-٣٧).

عند ذلك طلب المسيح من مرثا أن يرى أختها أيضاً. وانتظر حيث كان، بينما أسرعت مرثا إلى البيت وأخبرت مريم سراً بطلب المسيح. فلما قامت حالاً وخرجت، تبعها المعزون لأنهم ظنوا أنها تحتاج إلى من يلطف حزنها ويوقف بكاءها عند قبر أخيها. فكان لعملمهم هذا فائدة عظيمة، إذ رأى خصوم المسيح على غير قصدٍ منهم أعجب معجزاته كافة. وبعد أن رأوا إقامة لعازر من قبره يستحيل عليهم الشك أو الإنكار.

نتخيل هذا الموكب الوقور سائراً بسرعة من البيت إلى المقبرة تتقدمه الأختان الحزینتان. ثم ارتباك هؤلاء اليهود، لما فوجئوا برؤية المسيح الذي يبغضونه ويطلبون موته، ورأوا المرأة التي يتبعونها تسجد عند قدميه، وتصرخ كما صرخت أختها قبلها: «يا سيد، لو كنت ههنا لم يموت أخي». هو كلامٌ كانتا بلا شك تردّدانه

كثيراً في الأربعة الأيام الأخيرة. ليس في كلامهما تلويح للمسيح على تأخيره في المجيء، لأن أخاهما مات يوم ذهاب رسولهما، فلم تقولا: «لو جئت» بل «لو كنت ههنا». تكلمت مريم ثم انفجرت ومعها الجميع بكاءً ووعياً.

تحركت عواطف المسيح الرقيقة «وانزعج بالروح واضطرب». والمعنى الأصلي للكلمة اليونانية «انزعج» هو «اغتاظ». اغتاظ المسيح وهو يرى أمامه عدوه إبليس في هذه الساعة، كما كان يفعل كثيراً، لأنه يعلم أن إبليس هو السبب الأعظم للشقاء والبكاء والموت في العالم. ثم سأل عن مكان الدفن. فأجابوه: «يا سيد، تعال وانظر» فمشى معهم ودموعه تتساقط بهدوء حتى قال اليهود: «انظروا كيف كان يحبه».

ربما نتعجب كيف بكى مع أنه كان ذاهباً ليقيمه من قبره ويرده إلى بيته. فلماذا لم يكن مبتهجاً؟

لا يبتهج وأحبائه مكتئبين، فهو يقدم للعالم قدوة المواساة اللطيفة الصادقة، فبكى مع الباكين كما فرح مع الفرحين، بكى لأنه رأى في هؤلاء الباكين مثلاً لبكاء البشر جميعاً. بكى لشعوره مع البشر في مصائبهم التي لا تُحصى. فتعجب الرؤساء الحاضرون كيف لم يستعمل هذا الباكي قدرته المعهودة في شفاء شخص يحبه بهذا المقدار. وكان قد شفى أمام أعينهم من مدة قصيرة إنساناً غريباً في أورشليم ولد أعمى. فكيف لم يشف حبيبه لعازر ويمنع عنه الموت؟

• «فَأَنْزَعَجَ يَسُوعُ أَيْضاً فِي نَفْسِهِ وَجَاءَ إِلَى الْقَبْرِ، وَكَانَ مَغَارَةً وَقَدْ وُضِعَ عَلَيْهِ حَجَرٌ. قَالَ يَسُوعُ: «ارْفَعُوا الْحَجَرَ». قَالَتْ لَهُ مَرْثَا، أُخْتُ أَلْمَيْتِ: «يَا سَيِّدُ، قَدْ أَتْنَنَ لِأَنَّ لَهُ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنَّ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللَّهِ؟». فَرَفَعُوا الْحَجَرَ حَيْثُ كَانَ أَلْمَيْتُ مَوْضُوعاً، وَرَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقِ، وَقَالَ: «أَيُّهَا آلابُ، أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي، وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا أُلْجَمُ

الْوَاقِفِ قُلْتُمْ، لِيُؤْمِنُوا أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي». وَلَمَّا قَالَ هَذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ:
«لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجاً» فَخَرَجَ أَلْمَيْتُ وَيَدَاهُ وَرِجْلَاهُ مَرْبُوطَاتٌ بِأَقْمِطَةٍ،
وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمِنْدِيلٍ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «خُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبُ» (يوحنا
١١: ٣٨-٤٤).

لما أتوا إلى القبر تجدد انفعال المسيح ثانية بانزعاج الغيظ، لأنه زاد اقتراباً عند القبر من خصمه الروحي إبليس، ومن المصارعة القوية معه لخطف فريسة الموت من قبضته، لأنه يقابله الآن عند القبر الذي هو أمتع معاقله.

كان على باب المدفن حجر كبير يجب رفعه. وبما أن الواقفين يقدرّون أن يرفعه لم يرفعه المسيح بمعجزة. وفي هذا نموذج للخلاص. لا يجوز أن يتوقف الخاطيء عن العمل المطلوب منه، بحجة أنه ينتظر العمل الإلهي العجيب، بل كما يشترط المسيح لإقامة الميت أن يدحرج الناس الحجر، يشترط على الخاطيء أن يتوب ويؤمن قبل أن يخلصه من خطيته.

أما مرثا صاحبة الكلمة في أمر الفقيد، فاعترضت على رفع الحجر عن باب القبر بدافع الشك والاحترام، لأنها لم تشأ أن ترى جسد أخيها بعد أن بدأ فيه الفساد والفناء، وقالت: «يا سيد قد أنتن، لأن له أربعة أيام». فقابلها المسيح بتوبيخ لطيف في جوابه: «ألم أقل لك إن آمنت ترين مجد الله؟».

ولما فتحوا باب القبر كان عمل المسيح الأول تحويل أفكار الحاضرين إلى أبيه الجالس على عرش الكون. الذي هو مرتبط معه ارتباطاً خوّله حقّ القول في وقت آخر: «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يوحنا ١٠: ٣٠). لقد أراد أن يعرّف كل الحاضرين أنه لا يعمل عملاً مستقلاً عن الآب، ليظهر اشتراك الآب معه في كل ما يعمل، فرفع عينيه إلى فوق وقال: «أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي». ثم لكي لا نتصور أنه يصلي كأحد الأنبياء الذين ينالون أحياناً ما يطلبونه، وأحياناً لا ينالونه، قال في صلاته: «أنا علمت أنك في كل حين تسمع لي». ولكي لا يظنوا أن صلاته كانت

لاحتياج فيه، كأنه عاجز في ذاته، وقال: «ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت، ليؤمنوا أنك أرسلتني» والقاعدة لكل من يريد أن يخاطب موتى الذنوب والخطايا أن يخاطب الله أولاً في الصلاة لأجلهم، كما فعل المسيح في هذه الساعة.

ثم عند نهاية صلاته صرخ بصوت عظيم قائلاً: «لعازر، هلم خارجاً».

وقد أشعر الصوت العظيم الحاضرين بعظمة العمل وصعوبته، وذكرهم أن النفس غير موجودة في هذا القبر، وأنه يناديها عن بُعد من وراء القبر. فعند هذا الصراخ السلطاني خرج الميت من قبره لابساً أكفانه التي قيّدت حركته. فأمرهم المسيح: «حلّوه ودعوه يذهب». فصحت الآن النبوة التي نطق بها: «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الْآنَ، حِينَ يَسْمَعُ الْأَمْوَاتُ صَوْتِ ابْنِ اللَّهِ، وَالسَّامِعُونَ يَحْيُونَ» (يوحنا ٥: ٢٥).

• «فَكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم، ونظروا ما فعل يسوع، آمنوا به. وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين وقالوا لهم عما فعل يسوع. فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجعاً وقالوا: «ماذا نصنع؟ فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة. إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به، فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا». فقال لهم واحد منهم، وهو قيافاً، كان رئيساً للكهنة في تلك السنة: «أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها». ولم يقل هذا من نفسه، بل إذ كان رئيساً للكهنة في تلك السنة، تنبأ أن يسوع مزعج أن يموت عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد. فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقنطروه» (يوحنا ١١: ٤٥-٥٢).

كانت هذه المعجزة برهان صحة إرسالية المسيح السماوية وصدق تعليمه، وأقنعت كل من عنده قابلية ليقنعت بالحق. ومع ذلك لم يؤمن أغلب الموجودين بل

ازدادوا قساوة وبغضاً، بتأثير رؤيتهم هذا البرهان القاطع. وقصدوا أن يكذبوا قول المسيح إنه القيامة ومناح الحياة، بقضائهم عليه بالإعدام. فعقدوا جلسة خصوصية لمجمعهم الكبير للنظر في الظروف الجديدة التي أوجدتها إقامة لعازر من قبره، فاعترفوا أنه كان يعمل آيات كثيرة. فإن تركوه، يؤمن به الجميع بتأثير شخصه وتعليمه وآياته، فتحدث فتنة سياسية ضد الحكم الروماني، تحرك غضب الحكام وتجعلهم يهلكون الأمة أو يبدّدونها بالسبي. وكانت هذه الجلسة توفيقاً عظيماً للدعوة المسيحية، لأنها أتت بشهادة جلية من خصوم المسيح.

في غضون الجلسة تكلم رئيسها قيافا (رئيس الكهنة) كلاماً نبوياً، أنطقه به الروح الإلهي على غير فهم منه. قال: «أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون أنه خيرٌ لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها». قصد قيافا في كلامه نصيحة أن يقتلوا المسيح لئلا تهلك الأمة بسببه، وقصد الروح القدس الذي تكلم بواسطته أن يبين أن موت المسيح كان كفارة عن الأمة، وليس عن الأمة فقط بل «ليجمع أبناء الله المتفرّقين إلى واحد».

كان قيافا، وأكثر رؤساء الكهنة، من طائفة الصدوقيين الذين ينكرون القيامة وعالم الأرواح، لذلك كانت إقامة لعازر من الموت ضربة مؤلمة عليهم، لأنها أعلنت للجميع فساد تعليمهم، الأمر الذي جعلهم يتحدون مع خصومهم الفريسيين ليهلكوا المسيح. ولا غرابة أن هذه القيامة مهدت الطريق كثيراً لتصديق قيامة المسيح الذي أقام لعازر، والتي حدثت بعد شهرين. ولا سيما أن المسيح لم يرقد في قبره المدة التي رقدتها لعازر في قبره.

لم يصبر مجمع السنهدريم إلى جلسة أخرى، بل أصدر قراراً رسمياً بقتل المسيح، وهو أمر حاولوه مراراً من قبل لكن على غير جدوى، ولكنهم أخذوا يسعون من الآن أن ينفذوه بموجب مستند رسمي مصدّق من مجمع السنهدريم، الذي لا يُستأنف حكمه.

٤ - لقاءات وأحاديث للمسيح

شفاء عشرة بُرص

• «وَفِي ذَهَابِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ اجْتَاَزَ فِي وَسَطِ السَّامِرَةِ وَالْجَلِيلِ. وَفِيمَا هُوَ دَاخِلٌ إِلَى قَرْيَةٍ اسْتَقْبَلَهُ عَشْرَةُ رِجَالٍ بُرَصٍ، فَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ وَصَرَخُوا: «يَا يَسُوعُ يَا مَعْلَمُ، اِرْحَمْنَا». فَتَنَظَرَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَذْهَبُوا وَأَرَوْا أَنْفُسَكُمْ لِلْكَهَنَةِ». وَفِيمَا هُمْ مُنْطَلِقُونَ طَهَّرُوا. فَوَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ شَفِيَ، رَجَعَ يُمَجِّدُ اللَّهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ شَاكِرًا لَهُ. وَكَانَ سَامِرِيًّا. فَقَالَ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ الْعَشْرَةُ قَدْ طَهَّرُوا؟ فَأَيْنَ التِّسْعَةُ؟ أَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يَرْجِعُ لِيُعْطِيَ مَجْدًا لِلَّهِ غَيْرُ هَذَا الْغَرِيبِ الْجُنْسِ؟» ثُمَّ قَالَ لَهُ: «قُمْ وَأَمْضِ. إِيْمَانُكَ خَلَّصَكَ» (لوقا ١٧: ١١-١٩).

رجع المسيح إلى أورشليم لأن عيد الفصح - ميعاد تقديمه الذبيحة الكفارية - صار قريباً، وأثناء دخوله إحدى القرى لاقاه عشرة رجال مرضى بالبرص. ولا يخفى أن المصائب تجمع حتى الأعداء. وهكذا اجتمع أولئك المرضى معاً. ولكن مراعاةً للقانون واللياقة وقفوا بعيداً وصرخوا: «يا يسوع، يا معلم، ارحمنا».

في بداية خدمة المسيح كان يلمس البرص الذين طهَّروهم، لأنه بذلك أظهر حنانه وتفضيله الرحمة على الفرائض الخارجية، أما الآن وقد اشتهر بكل ذلك. فلا حاجة إلى هذا اللبس. فأمر هؤلاء العشرة أن يَرَوْا نفوسهم للكهنة في أورشليم، برهاناً على أنهم طهروا، فأطاعوا حالاً قبل أن يروا من التطهير شيئاً، لذلك أكرم المسيح إيمانهم الذي أثمر طاعة. وفيما هم سائرون طهروا.

أما التسعة اليهود فلم يبالوا بالذي قدم لهم الرحمة، فتابعوا سيرهم نحو أورشليم ناسين واجب الشكر للطبيب الشافي. لكن السامري الغريب تأثر من إحسان لم

ينتوقعه، فرجع وهو يمجّد الله بصوت عظيم ليقدم الشكر أولاً للذي أنقذه من العار والخطر وحرمان الحقوق الدينية، وجثا عند قدمي المسيح. فقال جزاءه تلك الكلمة الثمينة: «إيمانك خلّصك». ألا يمثّل هذا الحادث أكثر ما يحدث في التاريخ البشري؟ وهل يؤدي أكثر من واحد في العشرة شكراً لله على مراحمه الوافرة؟

سؤال عن الملكوت

• «وَلَمَّا سَأَلَهُ الْفَرِيسِيُّونَ: «مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ اللَّهِ؟» أَجَابَهُمْ: «لَا يَأْتِي مَلَكُوتُ اللَّهِ بِمِرَاقِبَةٍ، وَلَا يَقُولُونَ: هُوَذَا هُنَا أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ، لِأَنَّ هَا مَلَكُوتُ اللَّهِ دَاخِلَكُمْ». وَقَالَ لِلتَّلَامِيذِ: «سَتَأْتِي أَيَّامٌ فِيهَا تَشْتَهُونَ أَنْ تَرَوْا يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَيَّامِ ابْنِ الْإِنْسَانِ وَلَا تَرَوْنَ. وَيَقُولُونَ لَكُمْ: هُوَذَا هُنَا أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ. لَا تَذْهَبُوا وَلَا تَتَّبِعُوا، لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ الَّذِي يَبْرِقُ مِنْ نَاحِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ يُضِيءُ إِلَى نَاحِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ، كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضًا ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي يَوْمِهِ. وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَوْلًا أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَيَرْفُضَ مِنْ هَذَا الْجِيلِ. وَكَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ نُوحٍ كَذَلِكَ يَكُونُ أَيْضًا فِي أَيَّامِ ابْنِ الْإِنْسَانِ. كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَيَتَرَوَّجُونَ وَيَتَرَوَّجُونَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ نُوحٌ الْفُلَّكَ، وَجَاءَ الطُّوفَانُ وَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ» (لوقا ١٧: ٢٠-٢٧).

بعد هذا سأل الفريسيون المسيح: «متى يأتي ملكوت الله؟» فأجابهم بحقيقة أساسية متعلّقة بملكوته، أنه لا يُقال عنه في مكان أو زمان معيّن، أو أن هيئة أو طائفة أو كنيسة خصوصية هي ملكوت الله، بل «ها ملكوت الله داخلكم». أي أن القلوب التي حلّت هو فيها، ويحكم عليها، هي التي تولّف ملكوته.

ثم وجّه المسيح كلامه إلى تلاميذه الذين يحلمون بالملكوت الزمني، وأشار مرة أخرى إلى ما أمامه من الآلام الكثيرة والرّفص. وتكلّم عن مخاوف اليوم الذي فيه

يظهر ابن الإنسان، لأن ذلك اليوم يذكّر العالم بأهوال الطوفان العظيم، وتدمير سدوم وعمورة بالنار والكبريت، حيث تصبح الأمة اليهودية جثة بالية تنقضّ عليها النور الرومانية وتقتصبها.

مَثَلٌ عَنْ ضَرُورَةِ الصَّلَاةِ الْمَتَوَاضِعَةِ

• «وَقَالَ لِقَوْمٍ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ، وَيَحْتَقِرُونَ الْآخِرِينَ هَذَا الْمَثَلُ: «إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِيسِيٌّ وَالْآخَرُ عَشَارٌ. أَمَّا الْفَرِيسِيُّ فَوَقَفَ فَوْقَ يَصْلِي فِي نَفْسِهِ هَكَذَا: «اللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ، وَلَا مِثْلَ هَذَا الْعَشَارِ. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ، وَأَعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. وَأَمَّا الْعَشَارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لَا يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلاً: «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئُ. أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هَذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مَبْرَرًا دُونَ ذَلِكَ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَضَعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ» (لوقا ١٨: ٩-١٤).

جدّد المسيح كلامه للفريسيين ليُريهم صورتهم في مَثَلٍ متعلّق بالصلاة، فضرب مثلاً عن فريسي معتدّ بنفسه، يصلي ويشكر الله في الهيكل لامتنازه في الفضائل. وعن عشار يصلي في ذات الوقت والمكان، متواضعاً عند مدخل الهيكل، ورأسه المنحني يذلُّ على خشوعه، وقرعُه على صدره يبيّن حزنه على آثامه، وكلامه يكشف عن إيمانه بقوله: «اللهم ارحمني أنا الخاطيء». ألم يقل الكتاب إن «ذبايح الله هي الروح المنكسرة. القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحترقه» (مزمور ٥١: ١٧)؟ فنزل العشار إلى بيته مبرراً دون الفريسي. «لأن كل من يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع».

سؤال عن الطلاق

• «وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِيسِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ قَائِلِينَ لَهُ: «هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ لِكُلِّ سَبَبٍ؟» فَأَجَابَ: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدَنِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟» وَقَالَ: «مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الْاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذَا لَيْسَا بَعْدَ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدًا وَاحِدًا. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لَا يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ». فَسَأَلُوهُ: «فَلِمَآذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلَاقٍ فَتُطَلَّقُ؟» قَالَ لَهُمْ: «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلَكِنْ مِنَ الْبَدَنِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلَّا بِسَبَبِ الزَّانَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةِ يَزْنِي». قَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ: «إِنْ كَانَ هَكَذَا أَمَرَ الرَّجُلُ مَعَ الْمَرْأَةِ فَلَا يُوَافِقُ أَنْ يَتَزَوَّجَ!» فَقَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هَذَا الْكَلَامَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ، لِأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وَلِدُوا هَكَذَا مِنْ بَطُونِ امْهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خِصَاهُمْ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خِصَاوَهُمْ أَنْفُسُهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ» (متى ١٩: ٣-١٢).

وجّه الفريسيون للمسيح سؤالاً عدائياً في أمر الطلاق. ومع أن عندهم شريعة موسى، تظاهروا أنهم يكرمون المسيح ويعطونه الحق ليشبث أو يلغي تلك الشريعة، فأعاد المسيح الحكم للشريعة. ولما قالوا له إن الشريعة تُجيز الطلاق بشرط أن يتم رسمياً ويثبت بصك قانوني، أجابهم أن هذا كان تساهلاً من موسى بسبب قساوة قلوبهم، وأن الله أعطاهم أولاً شريعة اقتصر على ما يحتملونه ليحررهم من فساد عادات الأمم حولهم، وليقودهم تدريجياً إلى الوضع الإلهي الأصلي الذي قضى أن تكون امرأة واحدة لرجل واحد. لكن نظام ملكوته الجديد لا يُجيز الطلاق إلا لعدة الزنا. ومتى أُجري الطلاق على القانون اليهودي لا يجوز أن يتزوج المطلق فيما بعد، لأن زواجه الأول قائم أمام الله، ولا يوقفه إلا الموت أو الزنى.

فلما سمع تلاميذه هذا القانون الضيق بالنسبة إلى ما تعوّدوه قالوا: «إن كان هذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج». فأظهر لهم أن الامتناع الحسن عن الزواج هو الذي يكون لأجل ملكوت الله.

رأي في الأطفال

• «حِينَئِذٍ قَدِمَ إِلَيْهِ أَوْلَادٌ لِكَيْ يَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَيُصَلِّيَ، فَأَنْتَهَرَهُمُ التَّلَامِيذُ. أَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ: «دَعُوا الْأَوْلَادَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ لِأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ». فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ. وَمَضَى مِنْ هُنَاكَ» (متى ١٩: ١٣-١٥).

على أثر الكلام في العلاقة العائلية، تحدث المسيح بكلام جميل يختص بالأطفال، لأن احتقار الصغار ساد كثيراً في كل بلاد العالم. ولما كان هو مخلص الجميع، فلا بد أن يهتم بهذا القسم العظيم من البشر. وكان تكريمه للأطفال من أهم امتيازاته.

جاءه في هذا الوقت أناس يقدمون أطفالهم ليضع عليهم يديه ويصلي، لأنهم اشتبهوا لأطفالهم بركة من المسيح كلي الطهارة والمقدرة، فأراد التلاميذ أن يبعدوا عن سيدهم هذا الإزعاج، فانتهروهم ليذهبوا عنه، وقالوا لهم إن مهمة المسيح أعظم من أن تسمح له بأن ينظر إلى أمر طفيف كهذا.

ولم يقبل المسيح هذه المعاملة الخشنة التي تدل على الفرق العظيم بين تفكيره هو وتفكير تلاميذه ومعاصريهم، وخطأهم في ذلك. وفي غيظه كما في رضاه تبرق جواهر الحكمة الإلهية، لأنه بكت تلاميذه بكلمات مؤثرة يتعلمها كل ولد مسيحي، وكم كان تأثيرها مباركاً في العالم منذ ذلك الوقت، وهي: «دعوا الأولاد يأتون إلي ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات». وصرح بأنه لا يدخل أحد ملكوت السموات إن لم يرجع ويصير مثل ولد.

إننا نوقن بأن فداء المسيح يعمُّ جميع الأطفال الذين يموتون في الطفولية في كل الأجيال، على اختلاف أحوال أهلهم الدينية والمدنية. وبناءً على هذا، ما أكثر الجمهور البشري الذي ينضمُّ إلى الجيش السماوي، مقابل العدد الغفير من البالغين الذين يموتون في خطاياهم.

حديث مع شاب غني

• «وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيُّ صِلَاحٍ أَعْمَلُ لِيَتَكُونَ لِي الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ؟» فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». قَالَ لَهُ: «أَيَّةُ الْوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْزِنِي بَعْدُ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَي أَتْبِعَنِي». فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِيناً، لِأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ. فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ» (متى ١٩: ١٦-٢٣).

فيما المسيح خارج إلى الطريق، جاء رئيس يهودي غني جداً. وجثا له دلالة على أنه أتى بإخلاص ليستقهم منه عن طريق الخلاص، وأكرمه بقوله: «أيها المعلم الصالح، أيُّ صلاحٍ أعمل لأرث الحياة الأبدية؟» فأجابته المسيح بأن كل الناس حتى أصلحهم خالون من الصلاح الكامل، وأنه لا يجوز أن ننسب الصلاح إلا لله وحده. إمَّا أن يكون المسيح صالحاً فعلاً، فيكون هو الله الذي ظهر في الجسد، أو يكون الشاب الغني مخطئاً.

لم يكن المسيح يقبل تحيةً في غير مكانها، وكان دوماً يريد أن يوضّح أن كماله وصلاحه ناتجان عن كونه «الله الذي ظهر في الجسد» - فليس بين البشر إنسان كامل الصلاح.

سأل الشاب الغني عن أي إصلاح يعمله ليرث الحياة الأبدية، فأفاده المسيح أن الصلاح الذي يؤدي إلى الحياة الأبدية هو الصلاح الكامل فقط. وهذا معقول، لأن شهادة النجاح التي بها رسوب درس واحد تعني الرسوب كله، كما قال الرسول يعقوب: «مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ» (يعقوب ٢: ١٠) ولما ادّعى الرئيس أنه حفظ الناموس كله منذ حادثته، نظر إليه المسيح وأحبه لإخلاصه واجتهاده، وأراد أن يكشف له أن حفظ الناموس المقبول عند الله هو الحفاظ الروحي لا الحرفي، فقال له: «يعوزك أيضاً شيء واحد. إن أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع كل أملاكك وأعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني حاملاً الصليب».

يلخّص المسيح الوصايا بمحبة الله فوق كل شيء، ومحبة القريب كالنفس. فإن كان هذا الشاب قد حفظ الوصايا كلها، فلا يصعب عليه أن يطيع ما أمره المسيح به. لكنه أثبت على نفسه بطلان ادّعائه، لأنه اغتمّ من هذا القول ومضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة. وبهذا أثبت أنه يحب ماله أكثر من الله، وأن المال هو ربّه الحقيقي. أحب المسيح هذا الشاب وأسف جداً عليه لأنه فضّل المال على ملكوت السماوات.

الدخول إلى ملكوت الله يبدأ هنا في هذه الحياة. والذين يدخلونه يدركون أن كل مقتنياتهم مكرّسة للملك، فمتى طلب منها يقدمونه برغبة وسرور، فيزول بذلك كل تدمر يسببه عن الفقر أو الخسارة المادية. والذي يتعلق قلبه بأموال الدنيا لا يجد في السماء ما يلدُّ له، وليس له كنز هناك، فذهابه إلى السماء يكون عبثاً، فضلاً عن كونه مستحيلاً.

• «فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ: «أَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيِّي إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنْ مُرِّرَ جَمَلٌ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةِ أُيَسْرُ مَنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيِّي إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ». فَلَمَّا سَمِعَ تَلَامِيذُهُ بُهْتُوا جِدًّا قَائِلِينَ: «إِذَا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «هَذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ» (متى ١٩: ٢٣-٢٦).

بمناسبة هذا قال المسيح لتلاميذه: «ما أعسر دخول المتكلمين على الأموال إلى ملكوت الله». ليبين أنه ليس فقط عسراً، قال إن دخول جمل من ثقب الإبرة أيسر من ذلك. ولما اعترض التلاميذ بقولهم: «إذاً من يستطيع أن يخلص؟» أفهمهم أن ترك الدنيا مستحيل على الطمع البشري، إنما كل شيء مستطاع عند الله. فمتى غير الروح الإلهي قلب محبي المال، يستطيعون أن يدخلوا الملكوت الروحي، لأن قلبهم الجديد سيحب الله أكثر من حبهم للمال.

• «فَأَجَابَ بَطْرُسُ حِينِيذٍ: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟» فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي فِي التَّجْدِيدِ، مَتَى جَلَسَ ابْنُ الْإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ، تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيًّا تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الْآتِي عَشْرًا. وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بِيوتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمًّا أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَاداً أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ. وَلَكِنْ كَثِيرُونَ أَوْلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ وَآخِرُونَ أَوْلِينَ» (متى ١٩: ٢٧-٣٠).

حرَّكَ ذِكْرُ الْمَالِ بِطْرُسَ لِيَسْأَلَ: «هَا قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا لَنَا؟» فأجابه المسيح بما يفيد أنهم ينالون النقاة خاصة من العناية الإلهية في هذه الدنيا، مع اضطهادات لامتحان إيمانهم وزيادة ثوابهم. ثم في الدهر الآتي يرثون الحياة الأبدية. وفي هذه القرينة أعاد ما قاله سابقاً وسيقوله ثالثة بعد حين: «كَثِيرُونَ

أَوْلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَالْآخِرُونَ أَوْلِينَ» (مرقس ١٠ : ٣١).

مثل فعلة الكرم

• «فَإِنَّ مَلَكَوَاتِ السَّمَاوَاتِ يُشْبِهُ رَجُلًا رَبَّ بَيْتٍ خَرَجَ مَعَ الصُّبْحِ لِيَسْتَأْجِرَ فَعْلَةً لِكَرْمِهِ، فَاتَّفَقَ مَعَ الْفَعْلَةِ عَلَى دِينَارٍ فِي الْيَوْمِ، وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى كَرْمِهِ. ثُمَّ خَرَجَ نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ وَرَأَى آخِرِينَ قِيَامًا فِي السُّوقِ بَطَّالِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضًا إِلَى الْكَرْمِ فَأَعْطِيكُمْ مَا يَحِقُّ لَكُمْ. فَمَضَوْا. وَخَرَجَ أَيْضًا نَحْوَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ وَالْتَّاسِعَةِ وَفَعَلَ كَذَلِكَ. ثُمَّ نَحْوَ السَّاعَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ خَرَجَ وَوَجَدَ آخِرِينَ قِيَامًا بَطَّالِينَ، فَقَالَ لَهُمْ: لِمَ إِذَا وَقَفْتُمْ هُنَا كُلَّ النَّهَارِ بَطَّالِينَ؟ قَالُوا لَهُ: لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَأْجِرْنَا أَحَدًا. قَالَ لَهُمْ: أَذْهَبُوا أَنْتُمْ أَيْضًا إِلَى الْكَرْمِ فَتَأْخُذُوا مَا يَحِقُّ لَكُمْ. فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ قَالَ صَاحِبُ الْكَرْمِ لَوَكِيلِهِ: ادْعُ الْفَعْلَةَ وَأَعْطِهِمُ الْأَجْرَةَ مُبْتَدَأًا مِنَ الْآخِرِينَ إِلَى الْأَوْلِينَ. فَجَاءَ أَصْحَابُ السَّاعَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ وَأَخَذُوا دِينَارًا دِينَارًا. فَلَمَّا جَاءَ الْأَوْلُونَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ أَكْثَرَ. فَأَخَذُوا هُمْ أَيْضًا دِينَارًا دِينَارًا. وَفِيمَا هُمْ يَأْخُذُونَ تَذَمَّرُوا عَلَى رَبِّ الْبَيْتِ قَائِلِينَ: هَؤُلَاءِ الْآخِرُونَ عَمِلُوا سَاعَةً وَاحِدَةً، وَقَدْ سَاوَيْتَهُمْ بِنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَحْتَمَلْنَا ثِقَلِ النَّهَارِ وَالْحَرِّ! فَقَالَ لِرَّوَادِمِهِمْ: يَا صَاحِبُ، مَا ظَلَمْتُكَ! أَمَا اتَّفَقْتِ مَعِي عَلَى دِينَارٍ؟ فَخُذِ الَّذِي لَكَ وَادْهَبِي، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيَ هَذَا الْآخِرَ مِثْلَكَ. أَوْ مَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَفْعَلَ مَا أُرِيدُ بِمَالِي؟ أَمْ عَيْنُكَ شَرِيرَةٌ لِأَنِّي أَنَا صَالِحٌ؟ هَكَذَا يَكُونُ الْآخِرُونَ أَوْلِينَ وَالْأَوْلُونَ آخِرِينَ، لِأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ» (متى ٢٠ : ١-١٦).

وجواباً على سؤال بطرس: «ماذا يكون لنا؟» روى المسيح مثل فعلة الكرم، فقال إن صاحب كرم استأجر فعلة ليعملوا في كرمه في ساعات مختلفة من النهار،

بعيـث ذهب الأـخـيرون قبل نـهاية النـهار بسـاعة واحـدة. واتفق مع الـذين ابتـدأوا في أول النـهار على أجرة دينار واحـد. أما للأخـيرين فقـال: «أعطيكم ما يحقُّ لكم». وعند المحاسبة في آخر النـهار ساوى بين الفـعلة في الأجر، وأمر وكيـله أن يحاسب الأخرين أولاً ويعطيهم أجرة نهار كامل. فولد هذا الكرم أمالاً فارغة في الأولين الـذين ظنوا أنهم يأخذون أجرة أكثر، لأنهم اشتغلوا ساعات أكثر. فلما أعطى كلاً منهم ديناراً واحداً حسب الشرط، تدمروا. فوبخهم صاحبُ الكرم، وذكرهم أنه لا يحقُّ لهم أن يحكموا عليه كيف يتصرف بماله، كما أنه لا حقُّ للذي يأخذ كامل حقوقه أن يحسد من يأخذ أكثر من حقوقه.

في هذا المثل درس دائم على خطأ الـذين يتدمرون بسبب نجاح الأخرين أكثر منهم، وخطأ الـذين يحتجون على عدم المساواة في المعاملة الإلهية. وكل عاقل يعلم أن أتعس الناس في العالم، عنده من الخيرات الزمنية والرحمة الإلهية فوق ما يستحق، وأنه بالنظر إلى المعاملة الإلهية لا يوجد في كل المسكونة مظلوم واحد.

إعلان جديد عن الصليب

• «وَفِيمَا كَانَ يَسُوعُ صَاعِداً إِلَى أُورُشَلِيمَ أَخَذَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ تَلْمِيذاً عَلَى انْفِرَادٍ فِي الطَّرِيقِ وَقَالَ لَهُمْ: «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَبْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَّابَةِ، فَيُحْكَمُونَ عَلَيْهِ بِالمَوْتِ، وَيُسَلَّمُونَهُ إِلَى الْأَمَمِ لِكَيْ يَهْرَأُوا بِهِ وَيَجْلِدُوهُ وَيَصَلِبُوهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ يَقُومُ». حِينَئِذٍ تَقَدَّمتْ إِلَيْهِ أُمُّ ابْنَيْ رِبْدِي مَعَ ابْنَيْهَا، وَسَجَدَتْ وَطَلَبَتْ مِنْهُ شَيْئاً. فَقَالَ لَهَا: «مَاذَا تُرِيدِينَ؟» قَالَتْ لَهُ: «قُلْ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هَذَا وَاحِدٌ عَن يَمِينِكَ وَالْآخَرُ عَن أَلْيَسَارِ فِي مَلَكُوتِكَ». فَأَجَابَ يَسُوعُ: «لَسْتُ مَا تَطْلُبَانِ. أَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَاسَ الَّتِي سَوْفَ أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِعَا بِالصَّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِعُ بِهَا أَنَا؟» قَالَا لَهُ: «نَسْتَطِيعُ» فَقَالَ لَهُمَا: «أَمَّا كَأْسِي فَتَشْرَبَانِهَا، وَبِالصَّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبِعُ

بِهَا أَنَا تَصْطَبِعَانِ. وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلَّا لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ مِنْ أَبِي». فَلَمَّا سَمِعَ الْعَشْرَةُ أَعْتَاطُوا مِنْ أَجْلِ الْأَخْوِينِ. فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلَا يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوْلًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا، كَمَا أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (متى ٢٠: ١٧-٢٨).

وفي سير المسيح نحو أورشليم في مقدمة تلاميذه، زاد شبح الصليب وضوحاً أمامه، وزاد شعوره بتقل خطايا العالم التي أتى ليكفر عنها، فانفرد بتلاميذه وأنبأهم ثلاثة بألامه وموته وأكثر تفصيل من قبل. وبما أنهم سيكونون معه متى داهمته تلك الحوادث المخيفة، فهو لا يريد أن يرافقه إلا باختيارهم، مع علمهم بما سيكون. فأوضح لهم أنه يُسلم أولاً لرؤساء الكهنة وللكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ثم يسلمونه للأمم خلافاً لنظامهم الملي. ويكون نصيبه الاستهزاء والجلد والشتيمة والبطق عليه. وفي النهاية يموت صلباً، ثم يقوم في اليوم الثالث.

ومع كل هذا الإيضاح ظهر أن التلاميذ لم يفهموا كلامه، إذ تقدم إليه التلميذان الممتازان، يعقوب ويوحنا مع والدتهما التي سجدت له احتراماً، كأنها تريد أن تطلب شيئاً. ولما سألتها ماذا تريد، طلبت أن يكون لابنتيها المقام الأول عندما يجلس المسيح على عرشه في ملكوته، فيجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره. وكانت سالومة واثقة بأنها ستنال طلبها من ابن أختها، سيماً وأنها تركت بيتها وتبعته مع تلاميذه في أسفارهم، وخدمتهم من مالها، ولأنها لاحظت امتياز ابنيتها في بيت يائرس وعلى جبل التجلي.

لم تعلم سالومة، ولا علم يعقوب ويوحنا أن الإنسان لا ينال الإكرام بمجرد الطلب، بل بالأهلية له، فالتضحية وإنكار الذات هما باب الإكرام الإلهي، لا الطمع

ولا الطموح، لذلك قال المسيح لتلميذه: «لستما تعلمان ما تطلبان. فهل أنتما مستعدان أن تشربا مثلي كأس الآلام، والاصطباغ بالموت المهين؟» فلما أجابا دون تروٍّ: «نستطيع» أكد لهما أنهما يقدران على ذلك، أما الامتياز في ملكوته فمحفوظ فقط للذين أعدّه الأب لهم، وليس له كابن الإنسان أن يهبه.

وتضايق باقي التلاميذ من كلام يعقوب ويوحنا، فوبّخهم المسيح على الغيظ الذي تحرك في قلوبهم، وقال لهم: «من أراد أن يصير فيكم أولاً فليكن للجميع عبداً». وعندما يتّخذ كل رئيس صفة الخادم وعمله، طاعةً للسيد المسيح، نرى سريعاً انتشار الخير الروحي والصلاح في العالم.

المسيح يخلص زكا

• «ثُمَّ دَخَلَ وَاجْتَاَزَ فِي أَرِيحَا. وَإِذَا رَجُلٌ أَسْمُهُ زَكَا، وَهُوَ رَئِيسُ الْعَشَارِينَ وَكَانَ غَنِيًّا، وَطَلَبَ أَنْ يَرَى يَسُوعَ مَنْ هُوَ، وَلَمْ يَقْدِرْ مِنَ الْجَمْعِ، لِأَنَّهُ كَانَ قَصِيرَ الْقَامَةِ. فَرَكِضَ مُتَقَدِّمًا وَصَعِدَ إِلَى جُمَيْرَةٍ لِكَيْ يَرَاهُ، لِأَنَّهُ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَمُرَّ مِنْ هُنَاكَ. فَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْمَكَانِ، نَظَرَ إِلَى فَوْقِ فِرَاةٍ، وَقَالَ لَهُ: «يَا زَكَا، أَسْرِعْ وَأَنْزِلْ، لِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُنْتُ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ». فَأَسْرَعَ وَنَزَلَ وَقَبِلَهُ فَرِحًا. فَلَمَّا رَأَى الْجَمِيعُ ذَلِكَ تَدَمَّرُوا قَائِلِينَ: «إِنَّهُ دَخَلَ لِيَبِيتَ عِنْدَ رَجُلٍ خَاطِيٍّ». فَوَقَفَ زَكَا وَقَالَ لِلرَّبِّ: «هَا أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْيَوْمَ حَصَلَ خَلَاصٌ لِهَذَا الْبَيْتِ، إِذْ هُوَ أَيْضًا ابْنُ إِبْرَاهِيمَ، لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ» (لوقا ١٩: ١-١٠).

وفي يوم آخر دخل المسيح أريحا ليعطي الخلاص لبيت عشار خاطئ ويقدم التوبة والإيمان، وهو زكا الغني ورئيس العشاريين، الذي لا بد أن يكون قد علم

بما اشتهر به المسيح من فُتْح باب التوبة والخلاص للعشارين، فطلب أن يرى من هو المسيح، فلما تعدّر عليه التفرُّج على المسيح بسبب قصر قامته والعدد الغفير المحيط بالمسيح، انتبه لجميزة تمتدُّ أغصانها فوق الطريق، فركض وصعد أغصان الجميزة فوق الطريق العام، دون أن يُعير التفاتاً لمن يستهزئ به، فكافأه المسيح عندما وصل إلى تحت الجميزة، إذ أوقف الجمهور وناداه باسمه، وأمره أن ينزل بسرعة ويستقبله في بيته. قصد المسيح بذلك أن يفعل فعلاً روحياً مهماً في هذا الشخص، لأن مهنته ورياسته وغناه وصفاته وتصرفاته الماضية تجعله من أبعد الناس عن ملكوت الله، فاخترت هذا العشار ليخلصه، دون اكتراث لتذمُّر الجمهور معه بسبب ما فعل.

فاض كأس سرور المسيح لما وقف زكا أمامه وأمام الحاضرين في بيته، وأعلن توبته وثمرها وهو يقول: «ها أنا يا رب أعطي نصف أموالي للمساكين، وإن كنت قد اغتصبتُ شيئاً من أحد أردُّ أربعة أضعاف». فالذي رفض أن يفعله الرئيس الغني الفريسي الذي ادّعى أنه حفظ الوصايا كلها، فعله الآن زكا الرئيس الغني العشار المرفوض عند ذلك الفريسي، لأن الله غيّر قلبه فاستطاع المستحيل، وأمات حب المال في قلبه، فمرَّ الجمل في ثقب الإبرة إلى ملكوت السماوات.

وهنا أعلن المسيح أن هذا الرجل صار من أهل الخلاص. وكرر بأن ابن الإنسان قد جاء لكي يخلص ما قد هلك.

زكا هذا، مثال للذين لا يسمحون لمانع أن يمنعهم عن المجيء إلى المخلص، والذين يتجددون فجأة ويقدمون فور تجديدهم برهاناً قاطعاً بصحة تجديدهم، لأن إيمانهم مثمر في أعمالهم. فكان بارتيمائوس الأعمى وزكا العشار باكورة الكنيسة في أريحا. ويُرجَّح أنهما انضمَّتا إلى الموكب الذي ترك أريحا صاعداً مع المسيح إلى أورشليم لحضور احتفالات العيد.

المسيح يزور بيت لعازر

• «ثُمَّ قَبْلَ الْفِصْحِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ أَتَى يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنِيَا، حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ. فَصَنَعُوا لَهُ هُنَاكَ عَشَاءً. وَكَانَتْ مَرْتًا تَخْدُمُ وَأَمَّا لِعَازَرُ فَكَانَ أَحَدَ الْمُتَكَيِّينَ مَعَهُ. فَأَخَذَتْ مَرِيَمُ مَنَا مِنْ طِيبِ نَارِدِينَ خَالِصٍ كَثِيرٍ الثَّمَنِ، وَدَهَنَتْ قَدَمِي يَسُوعَ، وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرَهَا، فَأَمْتَلَأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطَّيِّبِ. فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ، وَهُوَ يَهُوذَا سِمَعَانُ الْإِسْخَرِيوطِيُّ، الْمُرْمِعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ: «لِمَاذَا لَمْ يُبِعْ هَذَا الطَّيِّبَ بِثَلَاثِمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ؟» قَالَ هَذَا لَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ، بَلْ لِأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا، وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ، وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ. فَقَالَ يَسُوعُ: «أَتْرَكُوهَا. إِنَّهَا لِيَوْمٍ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظْتُهُ، لِأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ، وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ» (يوحنا ١٢: ١-٨).

وصل المسيح وتلاميذه قرية بيت عنيا حيث نزل ضيفاً على بيت حبيبه لعازر الذي أقامه من الأموات من عهد قريب. ودُعي إلى وليمة صنعوها له في بيت سمعان الأبرص الذي يقول التقليد إنه كان زوج مرتا قبل ترمُلها. يذكر الإنجيل لعازر بين «المتكئين» معه في الوليمة، كما يذكر أخته مرتا بين المشتغلين بتدبيرها. وذكر مريم أيضاً لأنها أتت بقارورة طيب ناردين كثير الثمن، وكسرتها لتسكب الطيب على رأس المسيح ثم على قدميه. وبعد أن دهنتهما، مسحتهما بشعر رأسها علامة على شكرها وإكرامها لمخلصها. فامتأل البيت من رائحة الطيب، كما تفوح في كل مكان الرائحة الذكية حتى لأصغر الأعمال التي يصنعها الإنسان حباً بالمخلص، ولو كان كأس ماء بارد يقدمه لأحقر تلاميذه.

لكن فاعل الخير لا ينتظر أن يسلم من الانتقاد. فانسكب في هذا الوقت على رأس المسيح مع الطيب العطر انتقاداً مر، بحجة ضرورة مساعدة الفقراء. والأرجح

أن الإسخريوطي بدأ هذا الانتقاد، وأثار الآخرين لأنه «أمين الصندوق». وكان يورِّع منه إحساناً على الفقراء، كما كان يسرق منه، فيكون دفاعه عن الفقراء نفاقاً. واشترك بعض التلاميذ في هذا الهجوم عن بساطة، منحازين إلى انتقاد الإسخريوطي أن عمل مريم كان إسرافاً في غير محله، وأن توزيع ثمن الطيب على الفقراء كان أفضل.

لم يترك المسيح مريم التائبة تحت نيران الانتقاد، بل وبَّخ المنتقدين وحكم بحسن عملها. فكانها بروح النبوة دهنت جسده بالطيب، استعداداً لتكفينه بعد أيام قليلة. وفند حجة المنتقدين بقوله إنه يذهب عنهم قريباً، فيستحيل عليهم إكرام جسده بعد ذلك، أما الفقراء فلا ينقطعون عنهم أبداً، فيستطيعون إلى آخر الزمان أن يحسنوا إليهم. وعوَّض على مريم بقوله: «الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزُ بِهَذَا الْإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرُ أَيْضاً بِمَا فَعَلْتُهُ هَذِهِ، تَذَكَّاراً لَهَا» (مرقس ١٤ : ٩).

٥ - المسيح الملك يدخل أورشليم

• «وَلَمَّا قَرَّبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ وَجَاءُوا إِلَى بَيْتِ فَاجِي عِنْدَ جَبَلِ اأَزْيُوثُونَ، حِينِيذِ أَرْسَلَ يَسُوعُ تَلْمِيذَيْنِ قَائِلًا لَهُمَا: «أَذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ تَجِدَانِ أَتَانًا مَرْبُوطَةً وَجَحْشًا مَعَهَا، فَخَلَاهُمَا وَأَتِيَانِي بِهِمَا. وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ شَيْئًا فَقُولَا: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِمَا. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُمَا». فَكَانَ هَذَا كُلُّهُ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ: «قُولُوا لِابْنَةِ صِهْيُونَ: هُوَذَا مَلِكُكَ يَأْتِيكَ وَدِيْعًا، رَاكِبًا عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشِ ابْنِ أَتَانٍ». فَذَهَبَ اأَتْلَمِيذَانِ وَقَعَلَا كَمَا أَمَرَهُمَا يَسُوعُ، وَأَتِيَا بِاأَتَانِ وَالْجَحْشِ، وَوَضَعَا عَلَيْهِمَا ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِمَا. وَالْجَمْعُ اأَلْكَثَرُ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَانًا مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ. وَالْجُمُوعُ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانُوا يَصْرُخُونَ: «أَوْصِنَا لِابْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكُ اأَلَاتِي بِأَسْمِ الرَّبِّ! أَوْصِنَا فِي اأَعَالِي!»». وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَلِيمَ ارْتَجَّتِ اأَمْدِينَةُ كُلُّهَا قَائِلَةً: «مَنْ هَذَا؟» فَقَالَتِ الْجُمُوعُ: «هَذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ اأَلْجَلِيلِ» (متى ٢١: ١-١١).

خرج المسيح صباح يوم الأحد مع تلاميذه والجمهور التابع له من بيت عنيا قاصداً الهيكل، وسار جمهور المستقبلين من المدينة ليلاقوه، ثم أرسل أمامه تلميذين إلى قرية قريبة، حيث يجدان فيها جحشاً لم يُروّض بعد، مربوطاً بجانب أمه، أمام أحد البيوت. فعليهما أن يحلاهما ويأتيا بهما إليه. فإذا اعترض صاحبهما على هذا العمل من شخصين غريبين، يجيبانه: «الرب محتاج إليهما». فحالاً يسمح بهما. فتمت نبوة المسيح لهما حرفياً. في هذا الحادث تثبتت لعظمة المسيح بعلمه الغيب والمستقبل. فإذا عرفنا أن صاحب البهيمنتين ليس من تلاميذه ولا محبيه تزيد عظمتة، لسلطانه على أفكار هذا الرجل وإرادته.

وهنا نتساءل: ترى لماذا اختار المسيح هذا الموعد بالذات ليدخل أورشليم هذا الدخول الانتصاري؟

الإجابة: إن اليهود كانوا يفرزون خروف الفصح - الذي يرمز للمسيح - في اليوم العاشر من شهر نيسان القمري، ويعتدونه للذبح ليأكلوه بعد خمسة أيام، فليس عتياً أن نرى المسيح (حمل الله الذي يرفع خطية العالم) يفرزُ علانية في اليوم ذاته، مع الأغنام الكثيرة التي كانت ترمز إليه، ثم يُذبح على الصليب وقت ذبحها في الهيكل بعد خمسة أيام.

وتثبِتاً لأهمية موته وما يتعلق به، نرى أن البشائر الأربع تخصص سدس أخبار ١٢٤٠٠ يوماً، التي روت لنا أخبارها من حياة المسيح، ليوم واحد منها هو يوم موته وأخبار هذا اليوم، والسبعة الأيام التي قبله وبعده (التي نسميها أسبوع الآلام) تشغل أكثر من رُبُع أخبار السنين الأربع والثلاثين التي تتضمنها سيرة المسيح المقدسة.

ركب المسيح الجحش بعد أن وضع بعضُ تابعيه ثيابهم عليه. ولما التقى جمهور الخارجين من المدينة بجمهور الداخلين إليها اشتدت الحماسة وتسابقوا في إكرام المسيح وهم ينشدون بمعجزته لما أقام لعازر من الموت في بيت عنيا. وفعلوا ما يفعلونه عادة في أيام عيد المظال عندما يطوفون حول المذبح حاملين سعف النخل، شارات النصر، صارخين «أوصنا» (ومعناها: خلصنا). وقطعوا أغصاناً من الشجر فرشوها في الطريق، كما فرشوا فيه ثيابهم.

أضفى الشعب على هذا الاحتفاء صبغة دينية، فصاروا يفرحون ويسبحون الله لأجل جميع المعجزات التي أجزاها المسيح. وفي ابتهاجهم كانوا يصرخون: «أوصنا لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب. مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب. سلام في السماء، ومجد في الأعالي. أوصنا في الأعالي». وهذه التهافت مقتبسة من المزمور المئة والثامن عشر، لأن الشعب كان يعتقد أن يسوع هذا هو

المخلص المنتظر، وابن داود الآتي ليعيد أمجاد مملكة داود السياسية، دون أن يفهموا معنى خلاصه الروحي من عبودية الخطية. ولذلك فإن هذا الذي يهتف له شعبه الآن كملك، سيرى عكس هذا الاحتفاء. سيتوجونه في هذا الأسبوع (الذي نسميه أسبوع الآلام) لكن بإكليل من شوك استهزاءً، ويُلبسونه حلّة ملوكية، لكن سخرية، ثم يزعونها عنه، ويضعون قصباً كصولجان في يمينه، ثم يخطفونها من يده ويضربونه بها. سيسجدون أمامه ويحيونه كملك، لكن مكرراً ووقاحة وإهانة. سيُجلسونه مرفوعاً على عرش، لكنه الصليب. سيقتله الذين اختلسوا ملكه ويبدلون الصراخ: «أوصنا لابن داود ملك إسرائيل» بالصراخ: «اصلبه. اصلبه. ليس لنا ملك إلا قيصر».

ولم يكن ممكناً أن يتغاضى الفريسيون عن تجمهر كهذا، فانضموا إلى الجمهور ليروا ماذا يحدث، وقالوا بعضهم لبعض: «انظروا. إنكم لا تتفنون شيئاً. هوذا العالم قد ذهب وراءه». لقد ضايقهم غاية الضيق عدم تنفيذ أوامره المشددة، وقراراتهم الرسمية. لقد ضاعت سطوتهم النافذة على الشعب فاجتمع فيهم الحسد الجديد مع البغض القديم، وخافوا لئلا يظن الوالي الروماني أن هذه المناداة بملكٍ جديد لإسرائيل هي باتفاق الشعب ورؤسائه، فيحسبها مكيدة سياسية، ويعاقب لأجلها الرؤساء أولاً. وكان الوالي قد حضر من عاصمته قيصرية ليراقب ما قد يحدث أثناء العيد ضد حكومته من الفتن السياسية ليخمدتها ويعاقب المسؤولين. لذلك تقدم بعض الفريسيين إلى المسيح وقالوا له: «يا معلم، انتهر تلاميذك».

لكن المقاصد الإلهية التي لا يعملها إلا هو تقضي بهذا الاحتفاء في هذا الوقت، حتى أنه لو تأخر البشر عن إتمامها لاضطرت الحجارة الصماء أن تقوم بها. ولذلك رفض المسيح طلب رؤساء اليهود، ومضى في موكبه وسط هتافات الجمهور له.

وكان لا بد أن يدخل المسيح أورشليم هذا الدخول الانتصاري، سبق النبي زكريا أن قال في التوراة: «ابتهجي جداً يا أبنّة صهيون، أهتفي يا بنت أورشليم. هوذا

مَلِكِكَ يَأْتِي إِلَيْكَ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيْعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ
أَتَانٍ» (زكريا ٩ : ٩).

وزكريا نبيٌّ من جملة الذين قادم روح المسيح في النبوة. فأعلن المسيح سلطته العجيبة لما جعل الجمهور يشترك معه في إتمام هذه النبوة حرفياً، برغم مكائد الرؤساء. ففي بدء الاستعداد لهذا العيد العظيم دخل أورشليم بموكب عظيم، راكباً على جحش، بعد أن كان في كل سفراته يمشي على الأقدام.

المسيح يبكي على أورشليم

• «وَفِيمَا هُوَ يَقْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَكَى عَلَيْهَا قَائِلاً: «إِنَّكَ لَوْ عَلِمْتِ
أَنْتِ أَيْضاً حَتَّى فِي يَوْمِكَ هَذَا مَا هُوَ لِسَلَامِكَ. وَلَكِنْ الْآنَ قَدْ أُخْفِيَ
عَنْ عَيْنَيْكَ. فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكَ أَعْدَاؤُكَ بِمِثْرَسَةٍ، وَيُخْدِفُونَ
بِكَ وَيُحَاصِرُونَكَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَيَهْدِمُونَكَ وَبَنِيكَ فِيكَ، وَلَا يَتْرَكُونَ فِيكَ
حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ، لِأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ أَتْفَادِكَ» (لوقا ١٩ : ٤١-٤٤).

ولما وصل هذا الموكب إلى أول مكان يرون منه المدينة المقدسة، وقع نظر المسيح عليها، أبرقت في بصيرته النبوية صورتها الساحرة للأبصار. صورة سوف يراها بعض هؤلاء المحتقلين به، فطار عنه كل ما وُلِّدَه هذا الاحتفال الحبي البهيج من الفرح، ورفع صوته بالرتاء والبكاء المسموع. بكى على قبر لعازر بهدوء. أما الآن فيبكي بشدة على أورشليم التي ستُخرب، وهذا يعلمنا أن نحب الوطن، وأن نحب الخطاة، ونبكي على مصيرهم الأليم.

وما كان أشد دهشة هذا الجمهور عندما سمعوا بكاءه دون أن يروا سبباً لذلك. إن كل آلامه الفائقة الوصف، حتى تعليقه على الصليب، لم تُنزل له دمة ولا أسمعَتْ له أنة لكن حبه لهذه المدينة وشعبها العاصي أبكاه. أذابت خطاياهم والويلات التي تترصدهم قلبه الحنون، فبكى عليهم. لقد رأى بعلمه الفائق أورشليم

بعد أربعين سنة وقد حاصرها الجيش الروماني والعذابات الهائلة التي ستحلّ بها، ثم الخراب التام للمدينة ولهيكل الله العظيم. رأى أسوارها تُهدم وتُطرح إلى الحضيض وتُحرق بالنار. رأى لوعة المجاعة التي جعلت الأمهات يبعن أولادهن للذبح، ويأكل بعضهن أولادهن في جنون الجوع. رأى الأمة تتشنتت تشنتاً دائماً وتزول فرائضها المقدسة. وسيكون عذابهم وهلاك مدينتهم على يد القيصر الذي فضّلوه عليه، وتباهوا بأنه ليس ملك إلا هو. رأى المسيح الرومان بعد أربعين سنة ينصبون متاريسهم في ذات المكان الذي يبكي فيه الآن، وهم يقذفون منه على أسوار المدينة آلاتهم المدمرة. وهناك يحفرون خنادق الحصار، فيتمّ بذلك القول النبوي القديم: «إِنَّ صِهْيُونَ تَفْلَحُ كَحَقْلٍ وَتَصِيرُ أُورُشَلِيمُ حَرْباً وَجَبَلُ أَلْبَيْتِ شَوَامِخٍ وَغَرِّ» (إرميا ٢٦: ١٨). وقد حدث ما رآه المسيح فعلاً. وفي هذا الحصار ذاق اليهود تلك الأهوال التي جعلت المؤرخين يقولون إنها أشد من كل ما ورد في تاريخ العالم، حتى قيل إن القائد الروماني تيطس ذاته لما دخل المدينة، ورأى الجثث مكدسة في الأزقة، رفع يديه نحو السماء، واستشهد آلهته أنه ليس هو المسؤول عن هذا الخراب، ولكن الذين اضطروه إليه هم المسؤولون عنه.

كانت هذه الحوادث المؤلمة كلها مكشوفة لبصيرة المسيح. في هذه الساعة تحركت في صدره الرحب الصفوح عواطف حب الوطن والإنسانية، وشعور الإشفاق والغفران على الذين أرادوا أن يقتلوه، فتحوّل فكره من احتقاع القوم به وسرور تلاميذه، إلى دَرْفِ الدموع السخينة، ورتاء هذه المدينة، وبكائه عليها، وعلى شعبها المحبوب المتمرد، فقال مخاطباً أورشليم: «لو علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك. لكن الآن قد أخفي عن عينيك. فإنه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسمة، ويحاصرونك من كل جهة، ويهدمونك وبنيك فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنك لم تعرفي زمان افتقادك».

دخل هذا الموكب أورشليم من الباب الشرقي العظيم، بجانب الهيكل، فعرفت المدينة كلها من الهتاف المتواصل ورفّع سعف النخل أن حادثاً خطيراً وقع في

وسطهم. فتساءل المارة وسكان البيوت والتجار في حوانيتهم: «من هذا؟» وكان الجواب: «هذا يسوع النبي، الذي من ناصرة الجليل».

عندما وصل هذا الجمع إلى الهيكل كان النهار قد مال، فاكتفى المسيح بأن نظر حوله إلى ما يجري في الهيكل، ورأى أنه يستدعي عملاً هاماً وخطيراً يُطلب منه. وهذا لا يفعله إلا في اليوم التالي، لأن أبواب الهيكل تُغلق في المساء قبل أن يمكنه إتمامه. وهو لا يريد أن يبيت في المدينة لئلا يعرض نفسه لمكائد الرؤساء فيقضون عليه قبل أن تأتي ساعته. لذلك عاد مع تلاميذه إلى بيت عنيا.

٦ - المسيح يطهر الهيكل

المسيح يلعن التينة غير المثمرة

• «وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنِيَا جَاعَ، فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتُ التَّيْنِ. فَقَالَ يَسُوعُ لَهَا: «لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْكَ ثَمْرًا بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ». وَكَانَ تَلَامِيذُهُ يَسْمَعُونَ.

• وَفِي الصَّبَاحِ إِذْ كَانُوا مُجْتَازِينَ رَأَوْا التَّيْنَةَ قَدْ يَبَسَتْ مِنَ الْأَصُولِ، فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «يَا سَيِّدِي أَنْظُرْ، التَّيْنَةُ الَّتِي لَعَنْتَهَا قَدْ يَبَسَتْ!» فَأَجَابَ يَسُوعُ: «لِيَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ بِاللَّهِ. لِأَنِّي أَحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ قَالَ لِهَذَا الْجَبَلِ، أَنْتَقِلْ وَأَنْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ، وَلَا يَشْكُ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ، فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ. لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ، فَأَمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ، فَيَكُونُ لَكُمْ. وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ فَأَغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ، لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلَاتِكُمْ. وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا أَنْتُمْ لَا يَغْفِرُ أَبُوكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَيْضًا زَلَاتِكُمْ» (مرقس ١١: ١٢-١٤، ٢٠-٢٦).

دخل المسيح إلى أورشليم، وكان ذلك اليوم يوم الأحد. وفي صباح الإثنين ترك بيت عنيا وعاد إلى أورشليم. ويظهر أنه لم يتناول طعاماً فجاع. وكان جوعه مهماً لأنه من البراهين القاطعة على ناسوته، وأدى إلى تعليم رمزي مهم جداً، ضد النفاق، رسخ في أذهان تلاميذه وذاكرتهم بشهادة العين، والأذن أيضاً. لم يعاقب أحداً من البشر المرأين الذين وبَّخهم لأنه «لم يأت ليدين العالم، بل ليخلص به العالم». لكنه فعل بالشجرة معجزة من باب الغضب - هي الوحيدة في بابها. إنها

ليست بشراً، بل فقط شجرة تمثل المرثيين المتظاهرين بصلاح ليس في قلوبهم، فهي خضراء مورقة، لكنها لا تحمل ثمراً. وقد أُيدت هذه المعجزة قول المعمدان في زمانه إن «قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تَصْنَعُ ثَمْرًا جَيِّدًا تَقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ» (متى ٣: ١٠).

رأى المسيح من بعيد شجرة تينٍ عليها علامات الإثمار (وإن لم يكن وقت التين). لذلك استلقت نظره، فقصدها لعله يجد فيها ثمراً. كانت بعض أشجار التين تحمل باكورة الثمر، وهي ثمار صغيرة الحجم، لكنها كثيرة الحلاوة. ولما كانت هذه الشجرة مورقة، فقد توقع المسيح منها باكورة التين، فلم يجد سوى الورق. فصارت تلك الشجرة مثال الخطية الإيجابية التي ارتكبوها وهي الرياء، والخطية السلبية وهي إهمال الصلاح، أي عدم الإثمار، فلعلنا بقوله: «لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد». قال ذلك بغاية سامية ليعلم تلاميذه وليعلمنا ضرورة الإتيان بالثمر. ولم يلعن التينة عن حمقٍ أو طيش، لأن ذلك لا ينطبق على صفاته وتاريخه.

المسيح يطهر هيكله

• «وَجَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَسْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ. وَلَمْ يَدَعْ أَحَدًا يَجْتَازُ الْهَيْكَلَ بِمَتَاعٍ. وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلًا لَهُمْ: «أَلَيْسَ مَكْتُوبًا: بَيْتِي بَيْتَ صَلَاةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الْأُمَمِ؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَعَارَةً لُصُوصٍ». وَسَمِعَ الْكَتَبَةُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يُهْلِكُونَهُ، لِأَنَّهُمْ خَافُوهُ، إِذْ بُهَتَ الْجَمْعُ كُلُّهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ. وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ خَرَجَ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ» (مرقس ١١: ١٥-١٩).

في صباح يوم الإثنين عاد المسيح وتلاميذه إلى الهيكل، ليباشر العمل الإصلاحية الذي رأى الحاجة ماسةً إليه، لأن تأثير تطهيره الهيكل منذ ثلاث سنين

كان قد اضمحل، وعادت العادات الذميمة إلى مجراها القديم، واستخدم اليهود دار الأمم للمرور العادي في الأشغال من جهة إلى جهة بين شوارع المدينة، ونصبوا فيها حوانيت التجارة.

كان هذا الهيكل يرمز إلى المسيح كوسيط بين الله والناس، لأن به يتقدم الجميع إلى الله. وقد قال المسيح: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا إِلَى أَبِي» (يوحنا ١٤ : ٦) فكان يجب أن يظهر الهيكل مرة أخرى. ولما كان سيستازل ذاته بإرادته في هذا الأسبوع لسلطان أعدائه، فقد جدد برهان سلطانه الذي سيتنازل عنه لإتمام عمل الفداء - برهنه من جديد عندما طرد الباعة من الهيكل وأوقف التجارة فيه.

وفي التطهير الثاني للهيكل لم يدع المسيح أحداً يجتاز فيه بمتاع. واستعمل كلاماً أقوى مما قاله في التطهير الأول للهيكل. في التطهير الأول قال: «لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة». أما في هذه المرة فقال: «بيتي بيت صلاة يُدعى. وأنتم جعلتموه مغارة لصوص». لأنه رأى نفاق التجار في فسحاته. ورأى معظم الأمة، بما فيها الرؤساء، يسلبون حقوق الله.

وصفت النبوة المسيح بأنه عادل ومنصور (زكريا ٩ : ٩) ففي طرده الباعة أظهر عدله، وفي عجز الرؤساء عن منعه ظهر منصوراً. بعد تطهيره الأول للهيكل طلب منه اليهود آية، أما في التطهير الثاني فسأله: «بأي سلطان تفعل هذا؟» وطلبوا أن يهلكوه. لكنه بقي في المدينة وجوارها ثلاثة أيام.

ظَهَرَ الهيكل وهو ربه ليستعمل بيته في خدمته المزدوجة. ابتداءً حسب عادته بآيات الشفاء وأردفها بآيات التعليم. فعلم العالم أن أعمال الرحمة تُعدُّ من خدمة الله وتليق ببيته كما بيومه أيضاً. فباننتصاره على الرؤساء، ثم على الأمراض، ثم على الجهل، زاد تعلُّق الشعب به، وعدد المؤمنين أيضاً. فقيل إن «الشعب كله كان متعلقاً به يسمع منه».

ولما صار المساء خرج المسيح إلى خارج المدينة كعادته، ثم عاد صباح الثلاثاء ليودع الهيكل الذي قد تحوّل من بيت الله إلى مغارة لصوص، لأن تطهيره الثاني للهيكل لم يكن إلا مؤقتاً كالأول. وهو لا يرجع إليه بعد هذا اليوم. فلما وصلوا في طريقهم إلى حيث كانت التينة التي لعنها بالأمس، نبّه بطرس سيده أنها يبست من الأصول. فرأى المسيح احتياجهم إلى درس جديد في الإيمان، وفي النتائج العظيمة العجيبة التي تتبع كل صلاة تُقدّم بإيمان تام، فأعاد لهم الشرط الأساسي لاستجابة كل صلاة، وهو أن يغفر المصلي من كل قلبه لمن أساء إليه.

سؤال عن سلطان المسيح

• «وَجَاءُوا أَيْضاً إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَفِيمَا هُوَ يَمْشِي فِي الْهَيْكَلِ أَقْبَلَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَالشُّيُوعُ، وَقَالُوا لَهُ: «بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هَذَا، وَمَنْ أَعْطَاكَ هَذَا السُّلْطَانَ حَتَّى تَفْعَلَ هَذَا؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ: «وَأَنَا أَيْضاً أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً. أَجِيبُونِي، فَأَقُولَ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا: مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا: مِنَ السَّمَاءِ كَأَنْتَ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟ أَجِيبُونِي». فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ: «إِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ: فِيمَاذَا لَمْ نُؤْمِنُوا بِهِ؟ وَإِنْ قُلْنَا مِنَ النَّاسِ». فَخَافُوا الشَّعْبَ. لِأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ عِنْدَ الْجَمِيعِ أَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ نَبِيٌّ. فَأَجَابُوا: «لَا نَعْلَمُ». فَقَالَ يَسُوعُ: «وَلَا أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا» (مرقس ١١: ٢٧-٣٣).

بعد أن طهر المسيح الهيكل، اجتمع رؤساء اليهود ليقرروا الخطة التي يتخذونها لتنفيذ غايتهم في صلب المسيح. ولم يروا وسيلة لإسقاطه إلا فصل قلوب الشعب عنه أولاً بواسطة أسئلة يجعلونها أشراكاً يصيدونه بها. وهم يرجون أن يجيب عنها بما يجعل الشعب ينفر منه، حتى إذا حاولوا أن يقبضوا عليه لا يعارضهم الشعب. فبينما كان المسيح يتمشّي في الهيكل، سأله عن مصدر سلطانه الذي استعمله

في تطهير الهيكل، لأنهم هم وكلاؤه ورؤسأؤه، وقد تسلّموا سلطانهم على الهيكل قانونياً من أسلافهم بالمسح والرسامة مع تصديق الحكومة. أما هو فمن أين سلطانه؟ قد نسوا السلطة النبوية في تاريخهم. لأنه منذ مئات السنين لم يظهر نبي إلا المعمدان، الذي لم يؤمن به الرؤساء - والسلطة النبوية في كل الأزمان، تأتي رأساً من الله الذي يُقيم الأنبياء دون استشارة أو استئذان، ودون تقيّد بالتسلسل.

ذَكَرَ المسيح الذين سألوه بسلطان المعمدان، آخر الأنبياء وأعظمهم، وبشهادة المعمدان له أنه ابن الله، وطلب منهم أن يقرروا أولاً مصدر سلطان المعمدان. فإن اعترفوا أنه أخذه من مصدر سماوي يدينون نفوسهم لأنهم لم يقبلوا رسالة المعمدان. وإن أنكروا يخشون أن يرجمهم الشعب الذي كان يعتبر المعمدان نبياً حقيقياً، فلجأوا في حيرتهم إلى الكذب وقالوا: «لا نعلم» فأنزل جوابهم الكاذب على رؤوسهم احتقار الشعب لهم. ورفض المسيح أن يقول لهم بأي سلطان يتصرف، لأنه عرف خفايا قلوبهم الراضة.

مثل الابنين

• «مَاذَا تَظُنُّونَ؟ كَانَ لِإِنْسَانٍ ابْنَانِ، فَجَاءَ إِلَى الْأَوَّلِ وَقَالَ: يَا ابْنِي، أَذْهَبِ الْيَوْمَ أَعْمَلْ فِي كَرْمِي. فَأَجَابَ: مَا أُرِيدُ. وَلَكِنَّهُ نَدِمَ أَخيراً وَمَضَى. وَجَاءَ إِلَى الثَّانِي وَقَالَ كَذَلِكَ. فَأَجَابَ: هَا أَنَا يَا سَيِّدُ. وَلَمْ يَمْضِ. فَأَيُّ الْاِثْنَيْنِ عَمِلَ إِرَادَةَ الْآبِ؟» قَالُوا لَهُ: «الْأَوَّلُ». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ الْعَشَارِينَ وَالزَّوَانِي يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ، لِأَنَّهُ يُوحِنَا جَاءَكُمْ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَمَّا الْعَشَارُونَ وَالزَّوَانِي فَأَمَنُوا بِهِ. وَأَنْتُمْ إِذْ رَأَيْتُمْ لَمْ تَنْدَمُوا أَخيراً لِتُؤْمِنُوا بِهِ» (متى ٢١: ٢٨-٣٢).

سكت رؤساء اليهود، لكن المسيح لم يسكت، بل ضرب لهم مثلاً بابنين أمرهما أبوهما ليعملا في كرمه، فرفض الابن الأول أمر أبيه، ثم ندم وأطاع. أما الابن

الثاني فوعد بالقيام بالعمل لكنه لم ينفذ. أخطأ الابن الأول في قوله وأصاب في فعله. أما الابن الثاني فخطيته كانت التقصير بالفعل، الذي هو أعظم كثيراً من التقصير بالقول. وقصد المسيح بذلك أن الرؤساء المعترضين عليه يعلمون الشريعة، فأقوالهم حسنة. لكنهم يخالفونها فلا يعملون مشيئة الله. بينما غيرهم لا يتظاهرون بالتدين كثيراً، لكنهم يحفظون الشريعة الإلهية أكثر من الرؤساء. ثم لما سألهم: «أي الابنين عمل إرادة أبيه؟» أجابوه: الأول. فأوضح لهم أن قصة المعمدان قد برهنت أن العشارين والزواني يشبهون الابن الأول، لأنهم تابوا عن شرورهم لما سمعوا وعظ المعمدان واعتمدوا منه. بينما الفريسيون يشبهون الابن الثاني المذموم، لأنهم يدعون التقوى بأقوالهم ويخالفونها بأفعالهم، فجوابهم يثبت أفضلية العشارين والزواني عليهم.

مثل الكرامين الأردباء

• «اسْمَعُوا مَثَلًا آخَرَ: كَانَ إِنْسَانٌ رَبُّ بَيْتٍ غَرَسَ كَرْمًا، وَأَحَاطَهُ بِسِيَّاحٍ، وَحَفَرَ فِيهِ مَعْصَرَةً، وَبَنَى بُرْجًا، وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَامِينَ وَسَافَرَ. وَلَمَّا قَرُبَ وَقْتُ الْأَثْمَارِ أَرْسَلَ عَبِيدَهُ إِلَى الْكَرَامِينَ لِيَأْخُذَ أَثْمَارَهُ. فَأَخَذَ الْكَرَامُونَ عبيدهُ وَجَلَدُوا بَعْضًا وَقَتَلُوا بَعْضًا وَرَجَمُوا بَعْضًا. ثُمَّ أَرْسَلَ أَيْضًا عبيدًا آخَرِينَ أَكْثَرَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، ففَعَلُوا بِهِمْ كَذَلِكَ. فَأَخِيرًا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ ابْنَهُ قَائِلًا: يَهَابُونَ ابْنِي! وَأَمَّا الْكَرَامُونَ فَلَمَّا رَأَوْا الْابْنَ قَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: هَذَا هُوَ الْوَارِثُ. هَلُمُّوا نَقْتُلُهُ وَنَأْخُذُ مِيرَاثَهُ! فَأَخَذُوهُ وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ. فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرْمِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِأَوْلِيكَ الْكَرَامِينَ؟» قَالُوا لَهُ: «أَوْلِيكَ الْأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلَاكًا رَدِيًّا، وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الْأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَّا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاوُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّوِيَةِ. مِنْ قَبْلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا؟ لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ

اللَّهُ يُنَزِّعُ مِنْكُمْ وَيُعْطِي لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ. وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ يَتَرَضُّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ». وَلَمَّا سَمِعَ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيِّونَ أُمَّالَهُ عَرَفُوا أَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ. وَإِذْ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يُسْكُوهُ خَافُوا مِنَ الْجُمُوعِ، لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلُ نَبِيِّ» (متى ٢١: ٣٣-٤٦).

ثم قدم المسيح مثلاً يسمّى «الكرامين الأرياء» كشف فيه عن خطية رؤساء الشعب في ما ينوونه عليه وما سياتمونه في هذا الأسبوع. هؤلاء الكرامون بعدما أهانوا وقتلوا الرسل الذين أرسلهم المالك ليأخذوا حقّه من الأثمار، قتلوا أخيراً ابنه الوحيد ليثبتوا استبدادهم في الكرم. ولما سألهم المسيح: «ماذا يفعل صاحب الكرم بهؤلاء الأشرار؟» أجابه البسطاء منهم: «أولئك الأرياء يهلكهم هلاكاً ردياً، ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها». أما الذين أدركوا حقيقة المثل فأجابوا: «حاشا». فصدّق المسيح على جوابهم بقوله: «إن ملكوت الله يُنزع منكم، ويُعطى لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ». وذكرهم بقول نبيهم داود أن: «الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّوَايَةِ» (مزمو ١١٨: ٢٢). فالذين يقاومونه يتراضضون، أما الذين يقاومهم هو فيسحقون. فحفظ الرسول بطرس هذا القول وأعادته لما اضطهده هؤلاء الرؤساء بعد صعود المسيح، وسجله بعد ذلك في رسالته الأولى (أعمال ٤: ١١، ١بطرس ٢: ٧).

مَثَلُ عَرَسِ ابْنِ الْمَلِكِ

• «يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا مَلِكًا صَنَعَ عُرْسًا لِابْنِهِ، وَأَرْسَلَ عِبِيدَهُ لِيَدْعُوا الْمَدْعُوبِينَ إِلَى الْعُرْسِ، فَلَمَّ يُرِيدُوا أَنْ يَأْتُوا. فَأَرْسَلَ أَيْضًا عِبِيدًا آخَرِينَ قَائِلًا: قُولُوا لِلْمَدْعُوبِينَ: هُوَذَا عَدَائِي أَعَدَدْتُهُ. ثِيرَانِي وَمَسْمَاتِي قَدْ دُبِحَتْ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ. تَعَالَوْا إِلَى الْعُرْسِ! وَلَكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا وَمَضُوا، وَاجِدُوا إِلَى حَقْلِهِ، وَآخَرٌ إِلَى تِجَارَتِهِ، وَالْبَاقُونَ أَمْسَكُوا عِبِيدَهُ وَشَتَمُوهُمُ

وَقَتْلُوهُمْ. فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ غَضَبَ، وَأَرْسَلَ جُنُودَهُ وَأَهْلَكَ أَوْلِيكَ الْفَاتِلِينَ
وَأَحْرَقَ مَدِينَتَهُمْ. ثُمَّ قَالَ لِعَبِيدِهِ: أَمَا الْغُرْسُ فَمُسْتَعَدٌّ، وَأَمَا الْمَدْعُوْنَ
فَلَمْ يَكُونُوا مُسْتَحَقِّينَ. فَأَذْهَبُوا إِلَى مَفَارِقِ الطَّرِيقِ، وَكُلُّ مَنْ وَجَدْتُمُوهُ
فَأَدْعُوهُ إِلَى الْغُرْسِ. فَخَرَجَ أَوْلِيكَ الْعَبِيدِ إِلَى الطَّرِيقِ، وَجَمَعُوا كُلَّ الَّذِينَ
وَجَدْتُمُوهُمْ أَشْرَاراً وَصَالِحِينَ. فَأَمْتَلُوا الْغُرْسَ مِنَ الْمُتَكِنِينَ. فَلَمَّا دَخَلَ الْمَلِكُ
لِيَنْظُرَ الْمُتَكِنِينَ، رَأَى هُنَاكَ إِنْسَاناً لَمْ يَكُنْ لِابْسَاءَ لِبَاسِ الْغُرْسِ. فَقَالَ
لَهُ: يَا صَاحِبُ، كَيْفَ دَخَلْتَ إِلَى هُنَا وَلَيْسَ عَلَيْكَ لِبَاسُ الْغُرْسِ؟
فَسَكَتَ. حِينَئِذٍ قَالَ الْمَلِكُ لِلْخُدَّامِ: ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ، وَخَذُوهُ وَاطْرَحُوهُ
فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ. لِأَنَّ كَثِيرِينَ
يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَحَبُونَ» (متى ٢٢: ٢-١٤).

أغاظ مثل الكرامين الأرياء الرؤساء، لأن المسيح قاله لدينوتهم، فجددوا
السعي لإلقاء القبض عليه. ولكن خوفهم من الشعب قيّد أيديهم، فتركوه ومضوا.
لكن المسيح لم يمض، لأنه لم يكن قد أكمل بعد تعليمه الوداعي في الهيكل، فزاد
مثلاً ثالثاً يسمّى مثل عرس ابن الملك. قال إن الملك صنع عرساً لابنه، وأعطى
كل واحد من المدعويين حُلة ملكية. ولما دخل الملك ليرحب بالمتكئين الذين امتلأ
العرس منهم، رأى إنساناً لم يكن لابساً لباس العرس، بل اكتفى بثوبه الذي أتى به،
لأنه كان يعجبه أكثر من الثوب الذي أهده الملك لجميع المدعويين. كان يفتخر
بثوبه هو. ورفض أن يماثل الآخرين. كما لم يرد أن يكون تحت فضل الملك في
أمر كسوته. ولما سأله الملك عن سبب مخالفته نظام العرس، سكت. وكان سكوته
برهاناً كافياً لذنبه، فنال جزاءه. لأن نظام الملوك إعدام كل من يخالف أوامرهم.
فقال الملك لرجاله: «اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية،
هناك يكون البكاء وصرير الأسنان». ولم يكن طرده من حضرة الملك لشراً فعله،
بل لخير أهمله. فمهما كان الإنسان صالحاً في عيني نفسه وأعين الآخرين، فإن
الله يعاقبه على اكتفائه بیره، وإهماله ارتداء ثوب البر الذي يقدمه له الله.

في هذه الأمثال الثلاثة المتوالية: «مثل الابنين، ومثل الكرامين الأرياء، ومثل عرس ابن الملك» صرّح المسيح بأن رفض الرؤساء له يقابله قبول العشارين له. وأن رفض الأمة له يقابله قبول الأمم الأخرى له في ما بعد. أما قول المسيح في آخر المثل إن «كثيرين يُدعون وقليلين يُنتخبون» فلا نرى أنه يشمل الأزمنة كافة، بل أنه يشير خصوصاً إلى زمانه، ولا سيما إلى الأمة اليهودية.

٧ - المسيح يجاب على أسئلة شيوخ اليهود ثم يسألهم

كما يطلب المحارب المغلوب حلفاء جدداً لعله ينتصر أخيراً، تحالف رؤساء اليهود مع خصومهم من الهيروديسين أنصار الملك هيرودس. وبعد أن تشاوروا اتفقت القوة السياسية مع الدينية على هجوم جديد.

ما لقيصر لقيصر

• «ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ قَوْمًا مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ وَالْهَيَرُودُسِيِّينَ لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَلَا تُبَالِي بِأَحَدٍ، لِأَنَّكَ لَا تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ، بَلْ بِالْحَقِّ نَعْلَمُ طَرِيقَ اللَّهِ. أَيْجُوزُ أَنْ تُعْطِيَ جَرْيَةً لِقَيْصَرَ أَمْ لَا؟ نُعْطِي أَمْ لَا نُعْطِي؟» فَعَلِمَ رِيَاءَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُجَرِّبُونِي؟ إِيْتُونِي بِدِينَارٍ لِأَنْظُرَهُ». فَآتَوْا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟» فَقَالُوا لَهُ: «لِقَيْصَرَ». فَأَجَابَ يَسُوعُ: «أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ». فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ» (مرقس ١٢: ١٣-١٧).

كانت الحيلة أن الهيروديسين يتظاهرون بالتدين لكي يصطادوا المسيح ويمسكوه بكلمة، فيسلموه إلى حكم الوالي وسلطانة. فتقدموا إليه وتملقوه واستشاروه إن كانوا يدفعون الجزية للحكومة الرومانية أو لا يدفعونها، أملاً أن يمسكوه في شبكتهم مهما كانت إجابته، فإن قال بدفع الجزية ينفر الشعب منه، لأنهم ضجروا من هذه الضريبة التي هي علامة استعبادهم للرومان، ولأنهم ينتظرون مجيء المسيح ليحررهم منها. وكانوا يسألون: «كيف يمكن أن يكون المسيح ملك إسرائيل - كما هتف له الشعب بالأمس في الهيكل، ويحكم أن ندفع الجزية لقيصر؟». وإن أجاب بعدم دفعها كما يرغب الهيروديسيون (وهو ما كانوا يرجحونه) يحصلون على حجة

كافية ليسلموه للحكومة، كمثير للفتنة ضد القيصر الذي وضع هذه الضريبة.

علم المسيح رياءهم وخبثتهم، وأن الجواب الذي يروق للفريسيين لا يروق للهيروديسيين - ومع ذلك اتفق الفريقان على امتحانه، فأجاب: «لماذا تجربونني يا مراؤون؟ أروني معاملة الجزية». ولما أتوا بدينار. كانت صورة الإمبراطور مرسومة عليه. ومعنى هذا أنهم يعترفون بسلطان قيصر عليهم. فقال: «أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله». أي أعطوا كل ذي حق حقه. بهذا الجواب حطم الشَّرْك المنصوب له، ونطق بهذا القول المأثور قاعدة للواجبات في الدين والدولة. فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمة قدام الشعب وتعجبوا من جوابه وسكتوا، وتركوه ومضوا.

من تعليم المسيح هذا نرى أن الواجبات للدولة مقدسة وضمن الواجب الديني... ليس السؤال: هل نخضع لقيصر أم لله، لأن الخضوع للاثنتين واجب، والخضوع لقيصر في ما لا يخالف الخضوع لله هو من أصل الخضوع لله، لأن الله هو الذي سمح لقيصر أن يتسلط عليهم. فعليهم أن يخضعوا لهذا التأديب. وكما تذكّرهم صورة القيصر على الدينار، بما عليهم له، يجب أن تذكّرهم صورة الله التي خُلق فيها الإنسان، بما عليهم لله.

إله أحياء، لا إله أموات

• «وَجَاءَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الصَّدُوقِيِّينَ، الَّذِينَ يَقُولُونَ لَيْسَ قِيَامَةٌ، وَسَأَلُوهُ: «يَا مُعَلِّمَ، كَتَبَ لَنَا مُوسَى: إِنْ مَاتَ لِأَحَدٍ أَحٌّ، وَتَرَكَ أَمْرًا وَوَلَدًا، أَنْ يَأْخُذَ أَخُوهُ أَمْرَتَهُ، وَيُقِيمَ نَسْلًا لِأَخِيهِ. فَكَانَ سَبْعَةَ إِخْوَةٍ. أَخَذَ الْأَوَّلُ أَمْرًا وَمَاتَ، وَلَمْ يَتْرِكْ نَسْلًا. فَأَخَذَهَا الثَّانِي وَمَاتَ، وَلَمْ يَتْرِكْ هُوَ أَيْضًا نَسْلًا. وَهَكَذَا الثَّلَاثُ. فَأَخَذَهَا السَّبْعَةُ، وَلَمْ يَتْرِكُوا نَسْلًا. وَآخِرَ الْكُلِّ مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضًا. فَفِي الْقِيَامَةِ، مَتَى قَامُوا، لِمَنْ مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً؟ لِأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً لِسَبْعَةٍ». فَأَجَابَ يَسُوعُ: «أَلَيْسَ لِهَذَا تَضَلُّونَ، إِذْ لَا

تَعْرِفُونَ الْكُتُبَ وَلَا قُوَّةَ اللَّهِ؟ لَأَنَّهُمْ مَتَى قَامُوا مِنَ الْأَمْوَاتِ لَا يُزَوِّجُونَ وَلَا يُزَوِّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلَائِكَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْأَمْوَاتِ إِنَّهُمْ يَقُومُونَ: أَلَمْ يَقْرَأْتُمْ فِي كِتَابِ مُوسَى، فِي أَمْرِ الْعَلْيَقَةِ، كَيْفَ كَلَّمَهُ اللَّهُ قَائِلاً: أَنَا إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ؟ لَيْسَ هُوَ إِلَهُ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ. فَأَنْتُمْ إِذَا تَصَلُّونَ كَثِيراً» (مرقس ١٢: ١٨-٢٧).

أخيراً اتفقت جميع الأحزاب الكبرى الدينية والسياسية على مهاجمة المسيح هذا اليوم الأخير في الهيكل، فانضمَّ الصدوقيون إلى الفريسيين والكتبة ورؤساء الكهنة وشيوخ الشعب، ونصبوا للمسيح شركاً آخر علقوه على فلسفتهم الطبيعية. كان الصدوقيون يستخفون بالدين إجمالاً، ولا يؤمنون بالقيامة ولا الملائكة ولا الأرواح، فكان يُنظر منهم أن يسألوا سؤالاً هزلياً جدياً، ليثيروا الاستهزاء بالمسيح.

وبما أن أفكارهم كانت جسدية، فقد لفقوا مشكلة تتصل بالعالم الروحي الذي تسكنه الأرواح بعد الموت الجسدي. كانت شريعة موسى توجب على إخوة كل رجل متزوج يموت دون أن ينجب نسلًا أن يتزوج أحدهم بأرملة المتوفى ليقم للأخ الميت نسلًا. ولأجل غايتهم الهزلية تخيل الصدوقيون امرأة تزوجت بسبعة إخوة، الواحد بعد الآخر. وسألوه لمن من هؤلاء السبعة تكون زوجة في القيامة؟

كان الفريسيون يشاركون المسيح في الإيمان بالقيامة وبالعالم الأرواح، فهزيمته هنا أمام الصدوقيين تكون هزيمة لهم أيضاً. ونجاح المسيح في الجدل، يساعد الفريسيين من هذا الوجه. ولو أنه يكون مصيبة عليهم، لأنه يرفع مقام المسيح فيتعلق الشعب به أكثر من قبل.

نلاحظ في جواب المسيح على الصدوقيين أنه ترقق بهم أكثر مما بالفريسيين، وتلطّف في توبيخهم، لأنه كان يحسب رياء الفريسيين أشر من كفر الصدوقيين، فلم ينطق عليهم بالويل أو يناديهم: «يا مراؤون». بل أجاب: «أليس لهذا تضلون، إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله؟» إن خطية الصدوقيين أخف من خطية الفريسيين

الذين يعرفون ولا يعملون بما يعرفونه.

وأعطاهم المسيح برهاناً من أسفارهم الموسوية أن الله ليس إله أموات بل إله أحياء. إذاً توجد قيامة حقيقية. وهو سبحانه روح. إذاً يوجد عالم روحي واسع وأعظم جداً من العالم المادي. فلو كانوا يعرفون الكتب المقدسة لما كانوا ينكرون القيامة. ولو كانوا يعرفون قوة الله لما حددوها وحصروها في عالم الماديات الصغير.

وأفهم المسيح سامعيه أن العالم الروحي لا يقاس تماماً على العالم المادي، فالزيجة الجسدية لا وجود لها هناك، إذ يكون كل من له نصيب في قيامة الأبرار كملائكة الله في السماوات. فبُهِتَ الجموع من تعليمه، وفرح بعض الكتبة بفشل الصدوقيين أكثر مما تكدروا لاننتصار المسيح، وقالوا له: «يا معلم، حسناً قلت». وتوقف قليلاً تيار الاعتراض على هذا المعلم الناصري، ولم يتجاسروا أيضاً أن يسألوه عن شيء.

الوصية العظمى

• «فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكُتَّابَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا، سَأَلَهُ: «أَيُّهُ وَصِيَّةٌ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟» فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: أَسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ». فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: «جَيْدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لِأَنَّهُ اللَّهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ، وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمَحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ». فَلَمَّا رَأَهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلِ قَالَ لَهُ: «لَسْتُ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ». وَلَمْ يَجْزُرْ أَحَدٌ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ

يَسْأَلُهُ» (مرقس ١٢ : ٢٨-٣٤).

ثم سأله أحد علماء الشريعة المعروفين بالكتبة، وهو يريد أن يمتحن معرفته بالناموس: «يا معلم، أية وصية هي العظمى في الناموس وأول الكل؟» أجاب المسيح إن أول كل الوصايا هي «اسمع يا إسرائيل: الرب إلهك رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل مقدرتك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك. ليس وصية أخرى أعظم من هاتين. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء». ثم وصف المسيح عالم الشريعة هذا بأنه «ليس بعيداً عن ملكوت الله». فهل عرف عالم الشريعة أن حالة الذي ليس بعيداً عن الملكوت ولا يدخله، هي حالة أصعب من الذي هو بعيد؟ ما أمر هلاك الواقفين عند باب الملكوت.

قال الرب لربي

• «ثُمَّ سَأَلَ يَسُوعُ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ: «كَيْفَ يَقُولُ الْكِتَابَةُ إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ دَاوُدَ؟ لِأَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي، حَتَّى أَصْعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِنًا لِقَدَمَيْكَ. فِدَاوُدُ نَفْسَهُ يَدْعُوهُ رَبًّا. فَمِنْ أَيْنَ هُوَ أَبْنَاهُ؟» وَكَانَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ يَسْمَعُهُ بِسُرُورٍ» (مرقس ١٢ : ٣٥-٣٧).

ترقب المسيح وهو يعلم في الهيكل فرصة اجتماع الفريسيين ليمتحنهم كما امتحنوه، فطلب منهم تفسير هذه الآية في مزامير داود: «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي» (مزمور ١١٠ : ١). هنا تُكَلِّمُ العزة الإلهية شخصاً يسميه ربّه. وهذا الشخص حسب تفسير اليهود جميعاً هو المسيح، وفي ذات الوقت هو المسيح ابن داود. فكيف يكون بشراً محضاً، ويكون ربّ داود وابن داود في الوقت نفسه؟ لا يحل هذه المعضلة إلا القول بطبيعة المسيح المزدوجة التي تجعله رب داود من

جهة لاهوته، وابن داود من جهة ناسوته، وهذا هو الوصف الذي يطلقه سفر الرؤيا على المسيح: «أَصْلٌ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ» (رؤيا ٢٢: ١٦). فبما أنهم ينكرون لاهوته لم يستطع أحد أن يردّ بكلمة. فأسكت جميع معانديه وأسعد الجمع الكثير بكلامه. ويناسب هنا أن نذكر الشهادة التي قدمها سابقاً رسل خصومه الفريسيين بقولهم: «لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان». ويؤيد العدد الذي لا يُحصى من الذين سعدوا بكلامه من ذلك الوقت إلى يومنا هذا.

المسيح يمدح عطاء الأرملة

• «وَجَلَسَ يَسُوعُ تُجَاهَ الْخِرَانَةِ، وَنَظَرَ كَيْفَ يُلْقِي الْجَمْعُ نُحَاساً فِي الْخِرَانَةِ. وَكَانَ أَغْنِيَاءُ كَثِيرُونَ يُلْقُونَ كَثِيراً. فَجَاءَتْ أَرْمَلَةٌ فَقِيرَةٌ وَأَلْقَتْ فَلْسَيْنِ، قِيمَتُهُمَا رُبْعٌ. فَدَعَا تَلَامِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذِهِ الْأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ قَدْ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ أَلْقُوا فِي الْخِرَانَةِ، لِأَنَّ الْجَمِيعَ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقُوا. وَأَمَّا هَذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا أَلْقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا، كُلَّ مَعِيشَتِهَا» (مرقس ١٢: ٤١-٤٤).

ثم انتقل المسيح من قسم الهيكل الداخلي إلى الدار الخارجية التي كانوا يسمونها دار النساء (لأنهم كانوا يسمحون بدخول النساء إليها). وكان هناك ثلاثة عشر بوقاً مخصّصة لوضع التقدّمات النقدية لخدمة الهيكل وأعمال الرحمة. وكان العابدون بعد غياب طويل يعودون في أيام العيد العظيم ليقدموا لهذا المعبد الفريد مبالغ وافرة، فجلس المسيح تجاه الأبواق في محل «الخرانة» يراقب العابدين وهم يدفعون عطاياهم. فلما وضعت أرملة فلسين، وهي أقل قيمة يجوز تقديمها، دعا تلاميذه لينظروا وقال: «إن هذه الأرملة الفقيرة قد أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ الَّذِينَ أَلْقُوا فِي الْخِرَانَةِ، لِأَنَّ الْآخِرِينَ أَلْقُوا مِنْ فَضْلَتِهِمْ، وَأَمَّا هِيَ فَأَلْقَتْ كُلَّ مَعِيشَتِهَا». للعطاء أهمية كبيرة في الدين، وقد علّم المسيح أن مقياس السخاء ليس مقدار التقدمة، بل

مقدار ما يبقى للمعطي بعد أن يقدمها. ويخطئ الذين يقدمون في الإحسان قليلاً ويسمونه «فلسي الأرملة»، لأن هذا الاسم لا يُطلق على العطاء القليل، إلا إن كان كل ما عند المعطي.

قدمت الأرملة ما عندها متكلة على العناية الإلهية التي تدبر كل أعوازاها، ولذلك نالت مدح المسيح على محبتها لله، وعلى ثقته في عانيته.

اليونانيون يطلبون المسيح

• «وَكَانَ أَنَا سَ يُونَانِيُونَ مِنِ الَّذِينَ صَعِدُوا لِيَسْجُدُوا فِي الْعِيدِ. فَتَقَدَّمَ هُوَ لِإِلَى فِيلِبُّسَ الَّذِي مِنْ بَيْتِ صَيْدَا الْجَلِيلِ، وَسَأَلُوهُ: «يَا سَيِّدُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ» فَأَتَى فِيلِبُّسُ وَقَالَ لِأَنْدَرَاوُسَ، ثُمَّ قَالَ أَنْدَرَاوُسُ وَفِيلِبُّسُ لِيَسُوعَ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَأَجَابَهُمَا: «قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ الْإِنْسَانِ. الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقْعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الْأَرْضِ وَتَمَتَّ فِيهَا تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ. مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ. إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي فَلْيَتْبَعْني، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضاً يَكُونُ خَادِمِي. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي يُكْرِمُهُ الْآبُ. الْآنَ نَفْسِي قَدْ اضْطَرَبَتْ. وَمَاذَا أَقُولُ؟ أَيُّهَا الْآبُ نَجِّنِي مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ. أَيُّهَا الْآبُ مَجِّدْ أَسْمَكَ». فَجَاءَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاءِ: «مَجَّدْتُ، وَأَمَجَّدْتُ أَيْضاً». فَالْتَجَمَعَ الَّذِينَ كَانُوا وَقِافاً وَسَمِعَ، قَالَ: «قَدْ حَدَثَ رَعْدٌ». وَآخَرُونَ قَالُوا: «قَدْ كَلَّمَهُ مَلَائِكَةٌ». أَجَابَ يَسُوعُ: «لَيْسَ مِنْ أَجْلِي صَارَ هَذَا الصَّوْتُ، بَلْ مِنْ أَجْلِكُمْ» (يوحنا ١٢: ٢٠-٣٠).

من المشرق البعيد أتى قوم، هم المجوس العلماء، ليروا المسيح في طفولته. والآن أتى قوم آخرون من المغرب البعيد من اليونان بلاد العلماء، ليروا المسيح في

خاتمة خدمته. وقفوا في الدار الخارجية من الهيكل، وهي المكان المخصص لعبادة الله لغير اليهود، يقدمون العبادة للإله الواحد إله إسرائيل. وأبلغوا تلميذ المسيح فيلبس شوقهم لرؤية المسيح. وحدّث فيلبس أندراوس، وانقفا أن يقولاً لسيدهما هذا الأمر.

رأى المسيح في أولئك اليونانيين مقدمةً للجمهور الذي لا يُحصى من الأمم المزمعين أن يطلبوه بالإيمان، فقال: «قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان». سيتمجد بالرغم من رفض أمته له، فلا يكون هذا فشلاً له ولا لعمله.

التقى المسيح باليونانيين وقال لهم: «الحق الحق أقول لكم، إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت، فهي تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير. من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية». كلمهم عن موت هو مقدمة الحياة - هو موته الفدائي ليحيي نفوساً بلا عدد. وهو موت المؤمن عن الخطية ليحيا للبر.

في هذا الوقت وفي هذا المقام اعترف المسيح أن نفسه اضطربت لشدة هول ساعة موته. لكن بما أنه قد أتى من السماء لأجل هذه الساعة، هل يمكن أن يطلب التخلّص منها؟ كلا ثم كلا. لأن طلبه الوحيد هو أن يتمجد اسم الآب. فصلّى أوجز صلواته وآخرها في الهيكل قائلاً: «أيها الآب مجد اسمك». فأكرم الآب هذا التسليم التام وإنكار الذات، وجاء صوت من السماء يقول: «مجدت وأمجد أيضاً».

عندما غلب المسيح إبليس في البرية وقت التجربة، أرسل الآب له ملائكة جاءت وصارت تخدمه، لكن هذه الغلبة الجديدة على تجربة الاستغناء من الصليب وما يتعلق به أشهر من تجربة البرية، وهذه الساعة أعظم من تلك. فأسمَعَ الآب صوته للمرة الثالثة في حياة المسيح على الأرض. أما أعداؤه فسمعوا صوتاً دون أن يفهموا الكلام، فقالوا: «قد حدث رعد». وأما مريدوه فسمعوا كلاماً، لكن غير مفهوم، فقالوا «كلمه ملاك». لكن المسيح الذي وحده فهم كلام الصوت، أكد لجميع

السامعين أنه لم يكن لأجله بل لأجلهم، وإن لم يكن مفهوماً عندهم.. جاءهم صوت الله تأييداً لشخص المسيح وتعليمه، فبواسطة هذه الغلبة الجديدة أثبت المسيح مرة أخرى صلاحيته كمخلص العالم. وصلاحيته تضمن نجاحه، لأنه بارتقاعه على الصليب «يجذب إليه الجميع». وهذا الجاذب الفعال لا يزال يشتغل بنجاح في العالم، فوق ما كان يتصوره بشر. يجذب الأفراد ويجذب الشعوب، ولا يتوقف عن عمله الخلاصي، إلى أن تُسمع الأصوات في السماء قائلة: «قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ أَلْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ» (رؤيا ١١ : ١٥).

٨ - المسيح يعلن أموراً آتية

• «وَفِيْمَا هُوَ خَارِجٌ مِّنَ الْهَيْكَلِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِّن تَلَامِيذِهِ: «يَا مُعَلِّمُ، أَنْظُرْ مَا هَذِهِ الْحِجَارَةُ وَهَذِهِ الْأَبْنِيَّةُ؟» فَأَجَابَ يَسُوعُ: «أَتَنْظُرُ هَذِهِ الْأَبْنِيَّةَ الْعَظِيمَةَ؟ لَا يَتْرُكُ حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لَا يَنْقُضُ». وَفِيْمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، تَجَاهَ الْهَيْكَلِ، سَأَلَهُ بُطْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا وَأَنْدَرَاوُسُ عَلَى أَنْفِرَادٍ: «فَلِنَا مَتَى يَكُونُ هَذَا، وَمَا هِيَ الْعَلَامَةُ عِنْدَمَا يَتِمُّ جَمِيعُ هَذَا» (مرقس ١٣: ١-٤).

كان المسيح في طريقه إلى خارج الهيكل، حين لاحظ تلاميذه جمال البناء العظيم - وكان الملك هيرودس قد بنى هذا الهيكل وعمل فيه أبواباً مغطاة بالفضة والذهب، وكانت حجارتها كبيرة جداً... فقد كان طول بعضها خمسة وأربعين ذراعاً، وعرضه ستة أذرع، وسُمكه خمسة أذرع. لقد كان بناء الهيكل عظيماً.

ولفت التلاميذ نظر المسيح إلى الحجارة والأبنية، فنظر إليها وقال: «هذه الأبنية العظيمة.. لا يترك حجر على حجر لا يُنْقَضُ».

ومضى المسيح وتلاميذه إلى جبل الزيتون، وهناك سأله التلاميذ سؤالين: «قل لنا متى يكون هذا؟» «وما هي العلامة عندما يتم جميع هذا؟».

كان التلاميذ يريدون أن يعرفوا الوقت، وكانوا يريدون أن يعرفوا بعض العلامات حتى يقدرُوا أن يميّزوا الوقت. وبدأ المسيح يخبر عن حوادث مقبلة. تكلم المسيح أولاً عن خراب أورشليم، ثم تكلم عن مجيئه الثاني.

علامات كاذبة على خراب أورشليم

• «فَأَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «أَنْظُرُوا! لَا يُضِلُّكُمْ أَحَدٌ. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِأَسْمِي قَائِلِينَ: إِنِّي أَنَا هُوَ. وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِحُرُوبٍ وَبِأَخْبَارِ

حُرُوبٍ فَلَا تَزْتَاغُوا، لِأَنَّهَا لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ، وَلَكِنْ لَيْسَ أَلْمُنْتَهَى بَعْدُ. لِأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ، وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ، وَتَكُونُ زَلَزَلٌ فِي أَمَاكِنَ، وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأَضْطِرَابَاتٌ. هَذِهِ مُبْتَدَأُ الْأَوْجَاعِ» (مرقس ١٣ : ٥-٨).

سأل التلاميذ عن الوقت الذي ينم في خراب الهيكل، ثم سألوا عن علامة ذلك الخراب. وجابو المسيح عن السؤال الثاني أولاً، فتكلم عن العلامات، وبدأ المسيح بالعلامات الكاذبة «انظروا.. لا يضلكم أحد» هذه هي العلامات الكاذبة:

١. العلامة الأولى الكاذبة على خراب أورشليم هي مجيء مصلين كثيرين (آية ٦) «كثيرون سيأتون ويقولون إنهم المسيح، ويضلون كثيرين.. لا تصدقوهم». وقد حدث فعلاً قبل خراب أورشليم أن ظهر مسحاء كذبة، وقالوا لليهود إنهم سيخلصونهم من عبودية الرومان، ولكنهم كانوا كاذبين (اقرأ أعمال ٢١ : ٣٨).

٢. والعلامة الثانية الكاذبة على خراب أورشليم هي الحروب (آية ٧). وقد حدثت فعلاً حروب كثيرة بين اليهود وبين الشعوب الأخرى قبل خراب أورشليم. حدثت حرب بين يهود الإسكندرية وبين المصريين سنة ٣٨ بعد ولادة المسيح. وحرب في سلوكية مات فيها خمسون ألف يهودي.

٣. العلامة الثالثة الكاذبة على خراب أورشليم هي حدوث زلازل ومجاعات واضطرابات (آية ٧). وقد حدثت فعلاً زلازل في كريت وروما وأورشليم. كما حدثت مجاعات، منها التي تنبأ عنها أغابوس (أعمال ١١ : ٢٨) كما حدثت اضطرابات بين اليهود والسامريين، وبين اليهود واليونانيين، مات فيها عشرون ألف يهودي. كل هذا حدث قبل خراب أورشليم. وكل هذا كان علامات كاذبة. وهي مبتدأ الأوجاع.

علامات صحيحة على خراب أورشليم

• «فَانظُرُوا إِلَى نَفْسِكُمْ. لِأَنَّكُمْ سَيَسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَتُجْلَدُونَ فِي مَجَامِعَ، وَتُوقَفُونَ أَمَامَ وِلاَةِ وَمُلُوكَ، مِنْ أَجْلِ، شَهَادَةٍ لَكُمْ. وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلًا بِالْإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الْأُمَمِ. فَمَتَى سَاقُوكُمْ لِيَسْلِمُوكُمْ، فَلَا تَعْتَنُوا مِنْ قَبْلِ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ وَلَا تَهْتَمُّوا، بَلْ مَهْمَا أُعْطِيتُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَبِذَلِكَ تَكَلَّمُوا، لِأَنَّ لَسْتُمْ أَنْتُمْ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلِ الرُّوحِ الْقُدُسِ. وَسَيُسَلِّمُ الْأَخْ أَحَاهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَالْأَبُ وَوَلَدُهُ، وَيَقُومُ الْأَوْلَادُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ. وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلَكِنْ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ. فَمَتَى نَظَرْتُمْ «رِجْسَةَ الْخَرَابِ» الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيَالُ النَّبِيُّ، قَائِمَةً حَيْثُ لَا يَنْبَغِي - لِيَفْهَمَ الْقَارِئُ - فَحِينَئِذٍ لِيَهْرَبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ، وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلَا يَنْزِلْ إِلَى الْبَنِيَّةِ وَلَا يَدْخُلْ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا، وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ فَلَا يَرْجِعْ إِلَى الْوَرَاءِ لِيَأْخُذَ ثَوْبَهُ. وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمَرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ. وَصَلُّوا لِكَيْ لَا يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ. لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ضِيقٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْخَلِيقَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ إِلَى الْآنَ، وَلَنْ يَكُونَ. وَلَوْ لَمْ يَقْصِرِ الرَّبُّ تِلْكَ الْأَيَّامَ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلَكِنْ لِأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ قَصَرَ الْأَيَّامَ. حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا أَوْ هُوَذَا هُنَاكَ فَلَا تُصَدِّقُوا. لِأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسْحَاءً كَذِبَةً وَأَنْبِيَاءُ كَذِبَةً، وَيُعْطُونَ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ، لِكَيْ يُضِلُّوا - لَوْ أَمَكَنَّ - الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا. فَانظُرُوا أَنْتُمْ. هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ» (مرقس ١٣: ٩-٢٣).

العلامة الأولى على خراب أورشليم هي «اضطهاد وتبشير» (آيات ٩-١٣). يقول المسيح لتلاميذه: «انظروا إلى نفوسكم». فهو يفتح عيونهم على الآلام التي ستأتي عليهم، وعلى الأمجاد التي بعدها. أولها اضطهادات من الخارج، من مجالس اليهود ومجامعه، حيث يجلدونهم ويوقفونهم أمام ولاة وملوك، من أجل

شهادة المسيح (آية ٩).

ويشجع المسيح تلاميذه حتى لا يقلقوا ويجهزوا الدفاع عن أنفسهم، لأن الروح سوف يتكلم فيهم، ويعطيهم الرد الصحيح (آية ١١).

ثم هناك اضطهادات من الداخل - من الإخوة والآباء (آية ١٢) - ويقول متى البشير: «حينئذٍ يعثر كثيرون، ويسلمون بعضهم بعضاً، ويبغضون بعضهم بعضاً» (متى ٢٤: ١٠). فإن بعض المسيحيين سوف يضعفون في الإيمان، ويسلمون إخوتهم المسيحيين للاضطهاد والعذاب. ثم يقول المسيح لتلاميذه: «وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمي» (آية ١٣).

ولكن في وسط الاضطهاد هناك تشجيع، هو أنه «ينبغي أن يُكرز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم» (آية ١٠) فإن الاضطهاد سوف يوصل رسالة الإنجيل إلى جميع الأمم، وذلك قبل خراب أورشليم، ويقول بولس الرسول في كولويسي ١: ٦: «الإنجيل الذي قد حضر إليكم كما في كل العالم أيضاً». ويقول في نفس الأصحاح في آية ٢٣: «الإنجيل الذي سمعتموه، المكرز به في كل الخليقة التي تحت السماء».

إذاً فليتشجع التلاميذ، لأن اضطهادهم يوصل رسالة المسيح للجميع.

وهنا تشجيع آخر، هو أن «الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (آية ١٣) فالذي يصبر وسط هذه جميعها يخلص.

العلامة الثانية الصحيحة على خراب أورشليم هي «رجسة الخراب» (آيات ١٤-٢٣) أي الرجسة التي هي سبب الخراب.. وقد تكلم عنها دانيال النبي في سفره (دانيال ٩: ٢٧، ١١: ٣١، ١٢: ١١).

وقد قصد دانيال في نبوته أنتيوخس أبيفانيس الذي أبطل الذبيحة في الهيكل وأقام بدلها عبادة الأصنام، وذلك قبل ولادة المسيح بوقت طويل. والمسيح يقول إن شيئاً كهذا سيحدث مرة أخرى.

وقد قصد المسيح من القول «رجسة الخراب» أن عساكر الجيش الروماني سوف يدخلون أورشليم وهم يحملون تماثيل النسور، وتماثيل ملوكهم، وهم يعبدونها. وهكذا فإن تلك التماثيل والأصنام سوف تكون «حيث لا ينبغي» (آية ١٤).

ويقول لوقا البشير «أورشليم محاطة بجيوش» (لوقا ٢١: ٢٠). فتكون رجسة الخراب هي جيش الرومان وتماثيلهم، حيث لا ينبغي أن تكون، أي في الهيكل المقدس والمدينة المقدسة.

هذه هي العلامة الصحيحة: أورشليم وحولها جيش الرومان الذي يريد أن يخربها، والمسيح يحذر تلاميذه من تلك الأيام، فالذي في اليهودية يجب أن يهرب بعيداً إلى الجبال، والذي على السطح يجب أن يهرب ولا ينزل إلى البيت ليأخذ حاجاته، والذي في الحقل يجب أن يهرب ولا يرجع إلى البيت ليأخذ ثوبه. أما الحبالى والمرضعات فسوف تكون ظروفهن قاسية صعبة، لأنهن يحملن حمل أنفسهن وحمل أطفالهن.

ويطلب المسيح من تلاميذه أن يصلوا حتى لا يكون ذلك كله في شتاء، ذلك لأن الضيق الذي سيأتي على أورشليم سيكون أعظم ضيق رآته المدينة.

وفي وسط هذه الصورة الحزينة يقدم المسيح تشجيعاً (آية ٢٠) هو أن تلك الأيام ستكون قصيرة، وقد جعلها الله قصيرة من أجل المختارين. على أن الضيق العظيم سيجعل الناس مستعدين أن يتعلقوا بأي قشة من أمل، فعندما يأتي الأنبياء الكذبة والمسحاء الكذبة ويقولون إن عندهم الخلاص، يثق الناس بهم، فيضلون كثيرين، ولو أمكن المختارون أيضاً.

وقد حدث كل الكلام الذي تنبأ المسيح به في خراب أورشليم.

فقد حاصر غالوس الروماني أورشليم سنة ٦٦ بعد ولادة المسيح، ثم حاصرها فسبسيانوس الروماني سنة ٦٨. وعند هذا الحصار الثاني هرب المسيحيون الذين عرفوا كلام المسيح، ولم يهلك منهم أحد. لقد فهم القارئ المسيحي نبوة المسيح،

وهرب، فلم يصبه سوء، كما قال مرقس «ليفهم القارئ» (آية ١٤).

ثم حاصر تيطس الروماني أورشليم سنة ٧٠ حتى سقطت في يده، وقتل من اليهود مليون ونصف مليون يهودي تقريباً، وصلب منهم كثيرين حتى لم يكن مكان لصلبان أكثر. وهكذا تم كلام المسيح: «ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة» (آية ١٩).

وهُدم الهيكل وأشعل أحد العساكر فيه النار، فلم يَبْقَ فيه حجر على حجر لم يُنْقِض. وقد كانت مدة حصار أورشليم قصيرة. قصيرة بالنسبة للوقت الذي كانوا يحاصرون فيه المدن في ذلك الزمان. وقصيرة بالنسبة لمدينة أورشليم ومناعتها الطبيعية، لأنها كانت مبنية على جبل.

وقال تيطس الروماني الذي فتحها: «الله أعطانا النجاح في حصار هذه المدينة» ورفض أن يأخذ مكافأة على نجاحه في حصار أورشليم وفتحها.

وقد كان ذلك النجاح والانتصار لتيطس من الله بسبب خطية اليهود. وفي ختام كلام المسيح عن خراب أورشليم قال: «انظروا أنتم، ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شيء» (آية ٢٣).

لقد أخبر المسيح تلاميذه بالحوادث المقبلة، وقد فهموا ونجوا من الضيق العظيم الذي جاء على أورشليم.

مجيء المسيح ثانية

• «وَأَمَّا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ بَعْدَ ذَلِكَ الضَّيْقِ، فَالْشَّمْسُ تُظْلِمُ، وَالْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَنُجُومُ السَّمَاءِ تَتَسَاقَطُ، وَالسَّمَاوَاتُ تَتَزَعَزَعُ. وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا فِي سَحَابٍ بِقُوَّةٍ كَثِيرَةٍ وَمَجْدٍ، فَيُرْسِلُ حِينَئِذٍ مَلَائِكَتَهُ وَيَجْمَعُ مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَفْصَاءِ الْأَرْضِ

إِلَى أَقْصَاءِ السَّمَاءِ» (مرقس ١٣ : ٢٤-٢٧).

بعد أن تكلم المسيح عن خراب أورشليم، بدأ يتكلم عن مجيئه ثانية. قال: «في تلك الأيام، بعد ذلك الضيق..» وهو يقصد خراب أورشليم، فإن ألف سنة عند الرب مثل يوم واحد. «الشمس تظلم، والقمر لا يعطي ضوءه، ونجوم السماء تتساقط، والقوات التي في السموات تتزعزع» (آيتا ٢٤، ٢٥) والمقصود بذلك أن عظمة سيسقطون، وملوكاً يتزعزعون.

كما أن المقصود أن السماوات تزول بضجيج محتركة ملتبهة، وأن العناصر تتحل وتذوب، وأن الأرض والمصنوعات التي فيها تحترق (اقرأ بطرس الثانية ٣: ٨-١٣).

حينئذ يأتي ابن الإنسان في السحاب، بقوة كثيرة فيقيم الأموات ويدين العالم. ويأتي بمجد وعظمة، ويرسل الملائكة ليجمعوا مختاريه من كل أطراف الأرض ومن كل مكان يوجدون فيه.

زمن خراب أورشليم

• «فَمِنْ شَجَرَةِ التَّيْنِ تَعَلَّمُوا الْمَثَل: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصاً وَأُخْرِجَتْ أَوْزَاقاً، تَعَلَّمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ. هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً، مَتَى رَأَيْتُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ صَائِرَةً، فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الْأَبْوَابِ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يَمُضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ. السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ، وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ. وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْآبَنُ، إِلَّا الْآبُ. أَنْظَرُوا! اسْهَرُوا وَصَلُّوا، لِأَنَّكُمْ لَا تَعَلَّمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ» (مرقس ١٣ : ٢٨-٣٣).

عندما ذكر المسيح خراب هيكل أورشليم، سأله تلاميذه: «متى يكون هذا؟» ثم

سألوه: «وما هي العلامة التي عندها يتم جميع هذا؟».

وجابوب المسيح على السؤال الثاني، فأخبرهم عن العلامات، ثم أجاب على السؤال الأول عن الوقت. قال المسيح: «حين تُخْرِج شجرة التين أوراقها، تعلمون أن الصيف قريب، وهكذا عندما ترون العلامات التي ذكرتها، تعلمون أن الوقت قريب على الأبواب. «لا يمضي هذا الحيل حتى يكون هذا كله». وقد رأى كثيرون من المسيحيين خراب أورشليم في حياتهم. وأراد المسيح أن يؤكد الأمر لتلاميذه فقال: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» .

هنا يتكلم المسيح عن وقت خراب أورشليم بالتقريب. أما اليوم والساعة فإن أحداً لا يعرفهما إلا الآب السماوي. لا الملائكة في السماء، ولا ابن الإنسان. ولا بد أن تسأل: كيف لا يعرف المسيح؟

والإجابة: إن المسيح هو الله الذي ظهر في الجسد (1 تيموثاوس 3: 16) فهو إليه كامل وإنسان كامل.. والمسيح ابن الإنسان قد أخلى نفسه وأخذ صورة عبد وصار في شبه الناس. وإذ أخلى نفسه لم يعرف اليوم ولا الساعة التي يكون فيها خراب أورشليم. المسيح الإله يعرف كل شيء، لكن المسيح الإنسان لا يعرف اليوم ولا الساعة.

ونحن أمام شخص المسيح نقف باحترام كامل، لأننا لا نعرف كيف يكون هذا، لكننا نؤمن به، لأنه هو بنفسه الذي قال هذا «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَسُوعُ رَبِّ» إِلَّا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ» (1 كورنثوس 12: 3).

وختم المسيح كلامه للتلاميذ بقوله: «انظروا! اسهروا وصلوا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت».

اسهروا

• «كَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ تَرَكَ بَيْتَهُ، وَأَعْطَى عَبِيدَهُ أَلْسُلْطَانَ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ عَمَلَهُ، وَأَوْصَى أَلْبَابَ أَنْ يَسْهَرُوا إِذَا لَأَنْكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ أَلْبَيْتِ، أَمَسَاءً، أَمْ نَصْفَ أَلَّيْلِ، أَمْ صِيَاخَ أَلدِّيكِ، أَمْ صَبَاحاً. لئِلا يَأْتِي بَغْتَةً فَيَجِدْكُمْ نِيَاماً! وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِجَمِيعِ: اسْهَرُوا» (مرقس ١٣: ٣٤-٣٧).

تكلم المسيح عن خراب أورشليم، ثم تكلم عن مجيئه ثانية. وفي وقت لا يعرفه أحد يتم ما تكلم عنه السيد المسيح. ولذلك فإن ما أقوله لكم أقوله للجميع: اسهروا. ثم ضرب المسيح مثلاً: قال فيه: إن رجلاً مسافراً ترك بيته وأعطى عبديه أعمالاً، وأوصى البواب أن يسهر. والعبيد لا يعلمون متى يعود رب البيت.

كان الليل مقسوماً إلى أربعة أقسام، كل قسم منها ثلاث ساعات. القسم الأول هو المساء، والثاني هو نصف الليل، والثالث هو صياح الديك، والرابع هو الصباح. ولا يعلم العبيد في أي قسم من أقسام الليل يأتي سيدهم.

عزيزي القارئ، ما هو العمل الذي كلفك الله به؟ كيف تتصرف كزوج وكأب في البيت؟ ما هو سلوكك وسط زملائك في العمل؟ لا تنس أن «لكل واحد عمله» - ما هو العمل المطلوب منك، هل تعمله بأمانة؟ نحن اليوم نعلم أن المسيح آت، ولكننا لا نعلم اليوم ولا الساعة، ويقول لنا المسيح: «اسهروا» لأن العدو يحيط بكم من داخلكم ومن خارجكم. اسهروا لأن عليكم مسؤولية في خدمة الله. اسهروا لأنه بعد سهر قصير يأتي ربكم ويكافئكم. أرجو أنه عندما يجيء المسيح نجدنا ساهرين.

مثل العذارى العشر

• «يُشْبِهُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ

لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ. وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ، وَخَمْسٌ جَاهِلَاتٍ. أَمَّا الْجَاهِلَاتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتًا، وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتًا فِي آبِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ. وَفِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ. فَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ: هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ، فَأَخْرَجْنَ لِلِقَائِهِ! فَقَامَتِ جَمِيعُ أَوْلِيكَ الْعِذَارَى وَأَضْلَحْنَ مَصَابِيحَهُنَّ. فَقَالَتِ الْجَاهِلَاتُ لِلْحَكِيمَاتِ: أَعْطِينَا مِنْ زَيْتِكُنَّ فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا تَنْطَفِئُ. فَأَجَابَتِ الْحَكِيمَاتُ: لَعَلَّهُ لَا يَكْفِي لَنَا وَلَكُنَّ، بَلِ اذْهَبْنَ إِلَى الْبَاعَةِ وَابْتَعْنَ لَكُنَّ. وَفِيمَا هُنَّ ذَاهِبَاتٌ لِيَبْتَغْنَ جَاءَ الْعَرِيسُ، وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ. أَخِيرًا جَاءَتْ بَقِيَّةُ الْعِذَارَى أَيْضًا قَائِلَاتٍ: يَا سَيِّدُ، يَا سَيِّدُ، افْتَحْ لَنَا. فَأَجَابَ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي مَا أَعْرِفُكُمْ. فَاسْهَرُوا إِذَا لَأَنْكُمْ لَا تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلَا السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الْإِنْسَانِ» (متى ٢٥ : ١-١٣).

ثم روى المسيح مثلين، أولهما مثل العشر عذارى المكرر فيه تشبيهه بعريس لم يأت عرسه بعد، وينقسم المشتركون في عرسه قسماً: قسم مستعد وقسم غير مستعد. ظن غير المستعدين أنهم يقدرّون أن يستعينوا عند مجيء العريس بالمستعدين، أو أنهم يستعدون بعد مجيئه. لكن لما حضر العريس وابتدأ العرس، عرفوا خطأهم في الفكرتين. ولما طلبوا الرحمة أجابهم السيد بالكلام المخيف المحزن أن العريس لا يعرفهم ولهذا لا يفتح لهم.

ويقصد المسيح بهذا المثل ضرورة الاستعداد لمجيئه الثاني ويوم الحساب، وبطلان زعم الذين يتصورون أن صلاح القديسين يفيض فيساعد غيرهم على نيل الغفران والدخول إلى السماء. كما أن المثل يقطع رجاء الذين يتصورون أن الرحمة الإلهية نحو الخطاة تمتد إلى ما وراء القبر.

مثل الوزنات

• «وَكَاثَمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ دَعَا عَبِيدَهُ وَسَلَّمَهُمْ أَمْوَالَهُ، فَأَعْطَى وَاحِدًا خَمْسَ وَزَنَاتٍ، وَآخَرَ وَزْنَتَيْنِ، وَآخَرَ وَزَنَةً - كُلٌّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ. وَسَافِرٌ لِلوَقْتِ. فَمَضَى الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَتَاجَرَ بِهَا، فَرَبِحَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ آخَرَ. وَهَكَذَا الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ، رَبِحَ أَيْضًا وَزْنَتَيْنِ أُخْرَيْنِ. وَأَمَّا الَّذِي أَخَذَ الْوَزَنَةَ فَمَضَى وَحَفَرَ فِي الْأَرْضِ وَأَخْفَى فِضَّةَ سَيِّدِهِ. وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَتَى سَيِّدُ أَوْلِيكَ الْعَبِيدِ وَحَاسَبَهُمْ. فَجَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَقَدَّمَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ آخَرَ قَائِلًا: يَا سَيِّدُ، خَمْسَ وَزَنَاتٍ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا خَمْسُ وَزَنَاتٍ آخَرَ رِبْحْتُهَا فَوْقَهَا. فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعْمًا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالْأَمِينُ. كُنْتَ أَمِينًا فِي الْفَقِيلِ فَأَقِيمَكَ عَلَى الْكَثِيرِ. أُدْخِلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. ثُمَّ جَاءَ الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، وَزْنَتَيْنِ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا وَزْنَتَانِ أُخْرَيَانِ رِبْحْتُهُمَا فَوْقَهُمَا. قَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: نِعْمًا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ الْأَمِينُ. كُنْتَ أَمِينًا فِي الْفَقِيلِ فَأَقِيمَكَ عَلَى الْكَثِيرِ. أُدْخِلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. ثُمَّ جَاءَ أَيْضًا الَّذِي أَخَذَ الْوَزَنَةَ الْوَّاحِدَةَ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، عَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٍ، تَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ. فَخِفْتُ وَمَضَيْتُ وَأَخْفَيْتُ وَزْنَتَكَ فِي الْأَرْضِ. هُوَذَا الَّذِي لَكَ. فَأَجَابَ سَيِّدُهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشَّرِيرُ وَالْكَسْلَانُ، عَرَفْتُ أَنِّي أَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ أَرْعُ، وَأَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَبْذُرْ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَصْعَ فِضَّتِي عِنْدَ الصَّيَارِفَةِ، فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ أَخْذُ الَّذِي لِي مَعَ رَبًّا. فَخُذُوا مِنْهُ الْوَزَنَةَ وَأَعْطُوهَا لِلَّذِي لَهُ الْعَشْرُ وَزَنَاتٍ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى فَيَزِدُّ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ. وَالْعَبْدُ الْبَطَالُ أَطْرَحُوهُ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصْرِيرُ الْأَسْنَانِ» (متى ٢٥: ١٤-٣٠).

أما المثل الثاني فيسمى مثل الوزنات، وهو يوضح أن مواهب الله للناس متفاوتة. لكن عندما يتساوى أصحابها في اجتهادهم وأمانتهم في استعمالها، يكون

جزأؤهم متساوياً. فالذي أكسب سيده وزنتين مدحه سيده بذات الكلام الذي مدح به الذي أكسبه خمس وزنات. أما من يهمل ما وُهب له فيكون كأن لا شيء له. إنه لم يختلس ولم يفعل شراً ولكنه أهمل، فكان نصيبه قول الديان: «والعبد البطل اطرحوه إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان». لا ريب أن أعظم ما يهبه الله للإنسان هو الخلاص الأبدي، فالدينونة العظمى، وأشد البكاء وصرير الأسنان، تكون لمن يهمل هذه الهبة الفائقة التي اشتراها المسيح بموته على الصليب.

يوم الدينونة العظيم

• «وَمَتَّى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيَمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يَمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ، فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ. ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارِكِي أَبِي، رَثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مِنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. لِأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَأَوْثَمْتُمُونِي. غُرِياناً فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضاً فَرَزَمْتُمُونِي. مَحْبُوساً فَأَتَيْتُمُونِي إِلَيَّ. فَيُجِيبُهُ الْأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَا رَبِّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطِشْنَاكَ فَسَقَيْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيباً فَأَوْثَمْنَاكَ، أَوْ غُرِياناً فَكَسَوْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدٍ إِخْوَتِي هَؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ.

• «ثُمَّ يَقُولُ أَيْضاً لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: أَدْهَبُوا عَنِّي يَا مَلَاعِينُ إِلَى النَّارِ الْأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لِإِبْلِيسَ وَمَلَائِكَتِهِ، لِأَنِّي جُعْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي. عَطِشْتُ فَلَمْ تَسْقُونِي. كُنْتُ غَرِيباً فَلَمْ تَأْوُونِي. غُرِياناً فَلَمْ تَكْسُونِي. مَرِيضاً

وَمَحْبُوساً فَلَمْ تَزُورُونِي. حِينئِذٍ يُجِيبُونَهُ هُمْ أَيْضاً قَائِلِينَ: يَا رَبِّ مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعاً أَوْ عَطْشَاناً أَوْ غَرِيباً أَوْ عُرْيَاناً أَوْ مَرِيضاً أَوْ مَحْبُوساً وَلَمْ نَخْدِمَكَ؟ فَيَجِيبُهُمْ: الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ لَمْ تَفْعَلُوهُ بِأَحَدٍ هَؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ فَبِي لَمْ تَفْعَلُوا. فَيَمِضِي هَؤُلَاءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالْأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (متى ٢٥: ٣١-٤٦).

كانت خاتمة هذا الخطاب للتلاميذ على جبل الزيتون مؤثرة ومغيدة للغاية، إذ صور المسيح فيها اجتماع البشر في يوم الدين، عندما يتخذ المخلص الرؤوف صفته كالديان، ويגיע في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، ويجلس على كرسي مجده. حينئذٍ يجتمع أمامه جميع الشعوب، وكالراعي الصالح الذي يعرف خاصته، يفرز الخراف فيضعها عن يمينه في مقام الرضى والإكرام، ويضع الجداء (الذين ليسوا خرافه) عن يساره في مقام الرفض والإبعاد، ولا يجد الذين على اليسار لنفوسهم عذراً، عندما يرون المسيح الذي يرثي لضعفات البشر، لأنه جُرب مثلهم، والذي في حبه المتناهي مات عنهم فدية، لأنهم لم يلتجئوا إليه للخلاص.

ثم يعلن هذا الديان النصيب الصالح الذي للخراف، وهو الميراث المعد لهم منذ تأسيس العالم، لأنهم مباركو أبيه الذين أعده لهم. ويعلن نصيب الجداء الذي لم يعد لهم، وهو النار الأبدية التي أعدها لإبليس وملائكته. لقد اختاروا الانقياد إلى إبليس وملائكته رغم إرادة الله والوسائط التي أعدها لهم لأجل الخلاص، فلا عذر لهم إن أرسلهم الله إلى محل إبليس، الرئيس الذي تبعوه في حياتهم الأرضية، وفضلوا طاعته على طاعة المخلص الجالس على كرسي الدينونة. أما السبب الأصلي للدينونة فهو عدم إيمانهم به. ولأنهم لم يؤمنوا ولم يعملوا ما يطلبه من تابعيه، وقد أهملوا العمل الخصوصي الذي يذكّرهم به، وهو معاملة البؤساء ولا سيما أتباعه منهم، الذين دعاهم «إخوتي هؤلاء الأصاغر».

في هذا المثل يوضح المسيح أن إطعام الجائعين وكساء العراة وافتقاد المسجونين

وإضافة الغرياء وزيارة المرضى، وأمثال ذلك من الإحسان الذي يفعله الإنسان حُباً للمسيح، يكون كأنه لذات شخص المسيح، فيُثاب الفاعل، ليس على ما فعل فقط، بل على قصده في فعله. وأما الذي لعدم حبه للمسيح لا يفعل هذا الإحسان، فكأنه منعه ليس عن المساكين بل عن المسيح ذاته. وفيه أيضاً يبيّن المسيح أن الخير الذي يهمله الإنسان، وليس فقط الشر الذي يعمله، يوقعه في الهلاك. وهذه من أصعب الدروس، وقليلون جداً هم الذين يحفظونها.

استسلم يهوذا الإسخريوطي تماماً لقيادة إبليس الذي لم يفلته ولو قليلاً إلى أن أوصله إلى النار المُعدّة لإبليس وجنوده. ظهر انفصال يهوذا القلبي عن المسيح قبل هذا الوقت بثلاثة أيام لما اعترض على مريم إذ دهنت قدمي المسيح بالطيب في بيت عنيا، ولم ينتبه لذلك باقي التلاميذ لسلامة قلوبهم. ويُرجّح أنه بينما كان المسيح يكلم التلاميذ على جبل الزيتون، دبّر يهوذا حُجّة معقولة ليتركهم ويعود إلى المدينة ليسعى بما وسوس إليه إبليس الشرير. نتصوّر أن ضميره حاربه جداً وهو يفنكر كيف يستخدم مقاصد اليهود ضد المسيح وسيلة ليربح أولاً مالاً، وثانياً صداقتهم للحصول على معيشته، عندما تتوقّف إعالته من إيراد الصندوق الذي كان يختلس منه. ألم ينتبه إلى تصريحات المسيح بأن ملكوته ليس زمنياً؟ وبأن نصيب تابعيه هو الخسائر والمقاومات والإهانات والاضطهادات المهينة؟ ألم ينتبه أيضاً إلى تكرار المسيح عبارات تدلّ على معرفته أسراره؟ فما دام لا ميّل له للتوبة والتقوى، لا بد أن هذه العوامل تزيد انفصاله عن المسيح. حينئذٍ دخل الشيطان فيه، وترأس على قلبه.

شيوخ اليهود يتأمرون

• «وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ هَذِهِ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا قَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «تَعَلَّمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الْفِصْحُ، وَابْنُ الْإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصَلَّبَ». حِينَئِذٍ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ الَّذِي

يُدْعَى قَيَافَا، وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يُمَسِّكُوا يَسُوعَ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُوهُ. وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا:
«لَيْسَ فِي الْعِيدِ لِئَلَّا يَكُونَ شَعْبٌ فِي الشَّعْبِ».

• حِينَئِذٍ ذَهَبَ وَاحِدٌ مِنَ الْاَثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِي يُدْعَى يَهُودَا الْإِسْخَرْيُوطِيُّ،
إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقَالَ: «مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أُسَلِّمُهُ لَكُمْ؟»
فَجَعَلُوا لَهُ ثَلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ. وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ يَطْلُبُ فُرْصَةً
لِيُسَلِّمَهُ» (متى ٢٦: ١-٥، ١٤-١٦).

ترأس الشيطان اجتماعاً في ذلك اليوم في دار قيافا رئيس الكهنة حضره رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب ليقروا بعد البحث كيف يقبضون على المسيح ليقتلوه، لأنهم لم يقدرُوا أن يحتملوا منه أكثر، وأرادوا أن يقبضوا عليه قبل العيد إن أمكن. لكن العقلاء بينهم أدركوا أن الشعب أقوى منهم ولا يجاريهم في قصدهم. فأقنعوا الآخرين أن يصبروا إلى أن يمضي العيد وتتصرف الجماهير ولا سيما مواطنيه الجليليين. هذا ما قرره مجلس السنهدريم. وأما مجلس السماء فقرر منذ الأزل أن يُذبح حملُ الله في عيد الفصح الذي رُسم إشارةً لهذه الضحية، فيكون قرار مجلس السنهدريم المخالف باطلاً.

وعد يهوذا الرؤساء أن يسهّل عليهم القبض على المسيح سراً قبل العيد، لقاء مبلغ معين. ولا شك أن الرؤساء عاملوه أولاً بتحفظ، لأنهم استبعدوا أن يسلمه أحد تلاميذه، فطلبوا من يهوذا براهين كافية تؤكد إخلاصه لهم. فلما طلب منهم مალأً أظهر كمال خيانتته للمسيح. ولربما استنشر شيوخ اليهود بمجيء يهوذا أنهم قريباً ينجحون في أن يحذو رفقاء يهوذا حذوه ويتركوا المسيح. وفرحوا جداً بوعده يهوذا أنه يمكنهم من القبض عليه سراً، فيسرعون بتسليمه للحكومة الرومانية. ولا خوف بعدئذٍ من انتصار الشعب له.

ولا نتعجب إن كانت الأجرة التي اتفقوا عليها مع يهوذا زهيدة، لأن الرؤساء لم يكونوا محتاجين لمساعدة يهوذا لهم بعد العيد، فيكون أنهم دفعوا ليهوذا أجرة

الإسراع فقط في القبض على المسيح. وكان على يهوذا أن يراقب وقتاً يكون فيه المسيح منفرداً لكي يمسكوه بسهولة. وقد قبل يهوذا هذا المبلغ الضئيل لأنه ظن أن لا تأثير لعمله، وقد استفاق على غلظه استفاقةً مريعةً كما سنرى.

٩ - المسيح يرسم فريضة العشاء الرباني

عاد المسيح إلى بيت عنيا في المساء يرافقه تلاميذه، ويهوذا معهم. وقضى يومي الأربعاء والخميس هناك، فلم يتيسر للخائن أن يوفي بوعده للرؤساء سريعاً. ولعلمهم تصوّروا أنه خابرهام امتحاناً، وأنه لا ينوي أن يوفي بوعده. أما هو فاستسلم أكثر للطمع والرياء في وظيفته الجديدة كجاسوس على سيده وولي نعمته، وأخذ يراقب فرصة مناسبة ليسلمه. وهكذا انقضى يوم الثلاثاء. أما يوم الأربعاء فلم يذكر الكتاب عمّا جرى فيه شيئاً. لكن يُرجَّح أن المسيح وتلاميذه قضوه في هدوء في بيت عنيا.

ولما أشرقت الشمس صباح الخميس كان قد بقي للمسيح ليل واحد قبل صلبه، قضاه في العشاء الفصحى ثم الرباني، والصلاة في البستان. ثم تسليم يهوذا له، ومحاكمته محاكمة غير قانونية في دار رئيس الكهنة. ثم أعقب ذلك الليل ليلان وجسده الكريم في القبر، وبعد ذلك جسد القيامة الممجّد الذي لا يحتاج إلى نوم.

• «وَفِي أَوَّلِ أَيَّامِ الْفَطِيرِ تَقَدَّمَ التَّلَامِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ لَهُ: «أَيْنَ تَرِيدُ أَنْ نُعِدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟» فَقَالَ: «أَذْهَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، إِلَى فُلَانٍ وَقُولُوا لَهُ: الْمُعَلِّمُ يَقُولُ إِنَّ وَقْتِي قَرِيبٌ. عِنْدَكَ أَصْنَعُ الْفِصْحَ مَعَ تَلَامِيذِي.» فَفَعَلَ التَّلَامِيذُ كَمَا أَمَرَهُمْ يَسُوعُ وَأَعَدُّوا الْفِصْحَ» (متى ٢٦: ١٧-١٩).

لم يُظهر المسيح صباح هذا الخميس استعداداً للذهاب إلى أورشليم. وربما استنتج أنه يريد أن يأكل الفصح في بيت عنيا. وكان هذا الخميس الواقع في اليوم الرابع عشر من الشهر القمري - اليوم الأول في عيد الفطير، وفيه كانوا يجّهزون كل ما يلزم لعشاء الفصح في مسائه. لكن كانت تهيئة الخروف والأعشاب المرأة والخمر وأنية الاغتسال وسائر تفاصيل العشاء، تستغرق وقتاً ليس بقليل، لذلك لم يصبر التلاميذ، بل تقدموا للمسيح وسألوه: أين يُعدّون العشاء. وكان جوابه

أن أرسل التلميذين بطرس ويوحنا بتعليمات غامضة تحجب عن الإسخريوطي معرفة المكان. وتتأ المسيح للتلميذين أنهما سيصادفان في المدينة منظرًا غير عادي، رجلاً يحمل جرة ماء في الطريق. وأفهمهما أن يقولوا لصاحب البيت الذي يدخله هذا الرجل: «يقول لك المعلم إن وقتي قريب. عندك أصنع الفصح مع تلاميذي». فمضيا ووجدوا فعلاً كما قال لهما. فأخذهما هذا الرجل الكريم إلى عليّة كبيرة مفروشة جاهزة، لأن يهود أورشليم كانوا يجهّزون كل ما يمكنهم في منازلهم، للمسافرين الغرباء ليلة عشاء الفصح. فهناك أعدا كل شيء حسب شريعة موسى.

المسيح يغسل أرجل تلاميذه

• «أَمَّا يَسُوعُ قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ، وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَبْتَدَأَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى الْآبِ، إِذْ كَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّةً الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، أَحَبَّهُمْ إِلَى الْمُنْتَهَى. فَحِينَ كَانَ الْعِشَاءُ، وَقَدْ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِ يَهُودًا سَمْعَانَ الْإِسْخَرِيُوطِيَّ أَنْ يُسَلِّمَهُ، يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الْآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللَّهِ يَمْضِي، قَامَ عَنِ الْعِشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِثْشَفَةً وَأَتْرَزَ بِهَا، ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ، وَأَبْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِثْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتْرِزاً بِهَا. فَجَاءَ إِلَى سَمْعَانَ بَطْرُسَ. فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ: «يَا سَيِّدُ، أَنْتَ تَغْسِلُ رِجْلَيَّ!» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الْآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، وَلَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ». قَالَ لَهُ بَطْرُسُ: «لَنْ تَغْسِلَ رِجْلَيَّ أَبَدًا!» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنْ كُنْتُ لَا أَعْسِلُكَ فَلَيْسَ لَكَ مَعِيَ نَصِيبٌ». قَالَ لَهُ سَمْعَانُ بَطْرُسُ: «يَا سَيِّدُ، لَيْسَ رِجْلَيَّ فَقَطْ بَلْ أَيْضاً يَدَيَّ وَرَأْسِي». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الَّذِي قَدْ أَعْتَسَلَ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا إِلَى غَسْلِ رِجْلَيْهِ، بَلْ هُوَ طَاهِرٌ كُلُّهُ. وَأَنْتُمْ طَاهِرُونَ وَلَكِنْ لَيْسَ كُلكُمْ». لِأَنَّهُ عَرَفَ مُسَلِّمَهُ، لِذَلِكَ قَالَ: «لَسْتُمْ كُلكُمْ طَاهِرِينَ» (يوحنا ١٣: ١-١١).

ولما صار المساء نزل المسيح وتلاميذه العشرة إلى عليّة الفصح وانضموا إلى بطرس ويوحنا. وكان عليهم قَبْلَ أن يتكئوا حول المائدة أن يغسلوا أرجلهم من غبار السفر، لأن النعال التي كانوا يلبسونها لا تغطي إلا إخمص القدم. وكان الخدم عادة يؤدون هذه الخدمة، وحيث لا يُوجد خدم كان التلاميذ يغسلون بعضهم أرجل بعضهم. لكن بما أن هذا العشاء رسمي، كما أنه عظيم، أخذ كل واحد منهم يستصعب القيام بهذه الخدمة لرفقائه، كأنهم أرفع منه مقاماً، لذلك تشاجروا في من هو أعظم بينهم، ليعرفوا من يجب أن يخدمهم.

يُرَجَّح أن البادئ والمحرك الأعظم في هذه المشاجرة كان الإسخريوطي، الذي يطلب لنفسه الرفعة بحجة أنه من اليهودية، وبيده أمانة الصندوق، فإن هذه المشاجرة بدأت «حين ألقى الشيطان في قلب يهوذا الإسخريوطي أن يسلمه».

اهتم البشير يوحنا أن يذكر قبل هذا الخبر أن المسيح كان في تلك الساعة يعلم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يده، وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي. فهذه المعرفة الحقيقية بمقامه العظيم، تزيد قيمة مثال التواضع الذي يقدمه لنا. أهمل الإثنا عشر غَسَلَ الأرجل، فنهض المسيح من مكانه بعد أن اتكأوا حول مائدة العشاء، وخلص الرداء الذي يميّزه كمعلم، وأثرز بمنشفة كالعبيد، وأتى بالمغسل والماء، وأخذ يغسل أرجل التلاميذ الذين أبوا أن يغسل الواحد للآخر. لكن لئلا يُؤخذ فعله في هذه الساعة كأنه عن جِدّة غضب، ذكر البشير أن المسيح أحبّ خاصته الذين في العالم حتى المنتهى، أي أن عاطفة الحب العظيم الثابت، وليس انفعال الغضب الوقتي هي التي حرّكته ليغسل أرجلهم، ليعطيهم من نفسه مثلاً. وقد بقي هذا الحب إلى منتهى وجوده معهم في الجسد، بالرغم مما أظهره من التقصير والسقوط. وإثباتاً لهذه الحقائق، غسل أيضاً رجلي يهوذا الخائن المتربص ليسلمه للقتل. ألم يكن هذا العمل من الوسائل التي استعملها هذا المخلّص العظيم مع يهوذا الشرير ليلين قلبه القاسي ويجذبه إلى التوبة والصلاح؟

يقول القديس يوحنا فم الذهب إن المسيح ابتداءً بيهوذا في غسل الأرجل، لأنه

الأقرب إليه في المتكأ عن شماله، ويُرَجِّح أن بطرس كان قدام يوحنا وعن يمين المسيح، فيكون المسيح قد غسل أرجل الجميع ما عدا يوحنا قبل وصوله إلى بطرس. فلما جاء دور بطرس اعترض بصورة المستفهم المستغرب، ولم يقتنع لما أجابه المسيح بأنه سيفهم فيما بعد ما لا يفهمه الآن، فاعترض من جديد بقوة وقال: «لن تغسل رجليّ أبداً». فهو يخطئ سيده، ويقبّح في نفس الوقت عمل رفقائه الذين قد سلّموا له بهذا العمل، كأنهم أقل منه في الإدراك واللياقة. فنال جزاءه في كلام المسيح القوي: «إن كنت لا أغسلك فليس لك معي نصيب» - وهنا تهوّر بطرس وطالب المسيح بأكثر مما قصد المسيح أن يفعله، لأنه قال: «ليس رجليّ فقط بل أيضاً يديّ ورأسي». سلّم بطرس، لكن ليس تسليم التواضع، بل كان تواضعه من باب ما يُعرف بكبرياء التواضع، لأن التواضع الحقيقي يجعل صاحبه يهمل ذاته، ويفكر في غيره. وقد أصلح المسيح خطأ بطرس وبيّن له أن لا حاجة لغسل يديه ورأسه.

في هذا الجواب تعليم في التطهير من الخطية، فمن يحصل مرة على الغفران عندما يتوب ويؤمن، لا يحتاج إلى إعادته فيما بعد، لأن اسمه كُتب في سفر الحياة، وقد تبناهُ الروح الإلهي، وصار من أولاد الله. لكن بما أنه لا يخلو تماماً من السقوط في بعض الزلات، عجزاً أو سهواً، يحتاج إلى غفرانٍ يختلف عن الأول، كما يختلف غفران خطية الابن عن غفران خطية العدو. ويشبهه بغسل الأقدام بالنسبة إلى غسل الجسد كله. فلأن التلاميذ كلهم متجددون إلا الإسخريوطي، تنتوّع خطاياهم عن خطاياهم. لذلك قال المسيح: «أنتم طاهرون ولكن ليس كلكم». وقال البشير: «لأنه عرف مسلّمه». والذي يتوب مرة توبة حقيقية لا يعود إلى حالته القديمة، بل يُصِرُّ على التخلّص من الخطية، فغفرانه ثابت وخلصه مقرر، لأنهما لا يتوقفان على أعماله وطاعته، بل على مواعيد الله ورحمته المجانية. فإن عاد إلى القديم تكون توبته غير حقيقية، فقد قال الرسول يوحنا عن مثل هؤلاء: «مِنَّا خَرَجُوا، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا، لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مِنَّا لَبَقُوا مَعَنَا. لَكِنْ لِنِظْهَرُوا أَنَّهُمْ

لَيْسُوا جَمِيعُهُمْ مَنَا» (يوحنا ٢ : ١٩).

• «فَلَمَّا كَانَ قَدْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ وَأَخَذَ ثِيَابَهُ وَاتَّكَأَ أَيْضاً، قَالَ لَهُمْ: «أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ؟ أَنْتُمْ تَدْعُونِي مُعَلِّماً وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ، لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ. فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ، لِأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالًا، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً. الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلَا رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ. إِنْ عَلِمْتُمْ هَذَا فَطُوبَى لَكُمْ إِنْ عَمِلْتُمُوهُ. لَسْتُ أَقُولُ عَنْ جَمِيعِكُمْ. أَنَا أَعْلَمُ الَّذِينَ أَخْتَرْتُهُمْ. لَكِنْ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ: الَّذِي يَأْكُلُ مَعِيَ الْخُبْزَ رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ. أَقُولُ لَكُمْ الْآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ أَيُّ أَنَا هُوَ. الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: الَّذِي يَقْبَلُ مَنْ أُرْسِلُهُ يَقْبَلُنِي، وَالَّذِي يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أُرْسِلُنِي» (يوحنا ١٣ : ١٢-٢٠).

لما أكمل المسيح غسل أرجل الجميع، نزع المنشفة عن حقيقه ولبس رداءه واتكأ في مكانه على رأس المائدة، وقال إن العظمة الحقيقية التي يسعى لأجلها العاقل النقي لا تنتج عن الأموال أو المقام أو الذكاء أو المعارف، بل عن الخدمة ونفع الآخرين، ومقدار هذا النفع هو قياس هذه العظمة. ثم جدد المسيح إشارة محزنة إلى خيانة يهوذا، وقال إنها تثبت صحة كلام الوحي، وتتفق مع المشورة الإلهية، لئلا يظن أحد أن عمل يهوذا يعارض القضاء الإلهي أو يفسده. لا شك أن الإسخريوطي كان قد تعمد بعمودية يوحنا كغيره من التلاميذ، والآن غسل المسيح رجليه رمزاً للتطهير من الخطية. فصار شاهداً ناطقاً على أن أفضل الوسائل الخارجية الدينية - كأسرار الكنيسة وأنظمة العبادة - لا تُنتج خلاص الذين ينالونها، ما لم يرافقها شعور داخلي يناسبها.

المسيح يأكل الفصح

• «وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ اتَّكَأَ مَعَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ. وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ قَالَ: «أَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ، إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ يُسَلِّمُنِي». فَحَزِنُوا جِدًّا، وَأَبْتَدَأَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لَهُ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا رَبُّ؟» فَأَجَابَ وَقَالَ: «الَّذِي يَغْمِسُ يَدَهُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ هُوَ يُسَلِّمُنِي. إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِدَلِكِ الرَّجُلِ الَّذِي بِهِ يُسَلِّمُ ابْنُ الْإِنْسَانِ. كَانَ خَيْرًا لِدَلِكِ الرَّجُلِ لَوْ لَمْ يُوَلَّدْ». فَسَأَلَ يَهُودًا مُسَلِّمُهُ: «هَلْ أَنَا هُوَ يَا سَيِّدِي؟» قَالَ لَهُ: «أَنْتَ قُلْتَ» (متى ٢٦: ٢٠-٢٥).

رأينا المسيح يتسلط على هيكل أورشليم فيطهره، وعلى السبت اليهودي فيحرره، وعلى الكتاب الإلهي فيفسره، والآن نراه يتسلط على الفصح العبراني ويغيره. قضت الفريضة في التوراة أن تمارس كل عائلة عشاء الفصح معاً، ولكن المسيح فضّل العلاقات الروحية على العلاقات الجسدية، فجعل تلاميذه أهل عائلته وفقاً لقوله: «من هي أمي ومن هم إخوتي؟ من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي». لقد كانت أمه وقت الفصح في أورشليم ومعها إخوته. فيكونون قد مارسوا الفصح في مكان آخر منفصلين عن قريبهم الأعظم. وهذا يُظهر لنا المقام الممتاز الذي وهبه المسيح للتلاميذ وليس لغيرهم.

في هذا العشاء امتزاج الابتهاج والكآبة في قلب المسيح. وقد ظهر ابتهاجه من قوله: «شهوة اشتهيت أن أكل هذا الفصح معكم». ابتهج وهو يشترك مع تلاميذه في عيد الفصح الغني بالمعني، والذي يشير في رسمه وتفاصيله وممارسته إلى عمله الخلاصي، الذي سيتممه سريعاً، لأن ساعة انتصاره على قوات الجحيم ورئيسها قد اقتربت - وقتها يسحق رأس الحية التي سمح لها أن تسحق عقبه. وقد ابتهج المسيح أيضاً لقرب رجوعه إلى حضن أبيه - وهذا يبهجه ويبهج تلاميذه أيضاً، لأنه يثبتهم ويجعلهم يقومون بأعمالهم العظيمة وينجحون نجاحاً باهراً في

المستقبل القريب، ولهذا قال لهم: «أَنْتُمْ الَّذِينَ تَبْنُوا مَعِي فِي تَجَارِيبي، وَأَنَا أَجْعَلُكُمْ كَمَا جَعَلَ لِي أَبِي مَلَكُوتًا» (لوقا ٢٢: ٢٨ و ٢٩).

ومع كل ابتهاج المسيح نراه يكتئب، لأن سعيه كل هذه المدة لإصلاح يهوذا الخائن ذهب أدراج الرياح. ومرارة هذه الخيانة أصعب من مرارة مقاومة الرؤساء. يكتئب المسيح لأنه يعلم أن تلاميذه جميعاً يشكّون في تلك الليلة وتتحقق نبوة التوراة «أَضْرِبِ الرَّاغِي فَتَتَشَتَّتِ الْغَنَمُ» (زكريا ١٣: ٧). وأن عميدهم الصخرة، سمعان بطرس، سيفوق الجميع في الارتداد الوقتي. يكتئب المسيح لأن هذه الساعة هي ساعة فراق مؤلم، ولا سيما لتلاميذه الأحباء الضعفاء والمتكلمين على قيادته الشخصية. وهو يكتئب كابن الإنسان لما ينتظره من العذابات الجسدية والنفسية الأصعب منها.

ثم قال المسيح لتلاميذه إن واحداً منهم سيسلّمه ليد أعدائه شيوخ اليهود. ولما سأله الإسخريوطي: «هل أنا يا سيد؟» قال له: «أنت قلت». ثم غمس لقمه في الأعشاب المرّة وناولها له.

انتهى عشاء الفصح اليهودي، ويهوذا يرفض أن ينقاد إلى المحبة التي قدّمها له المسيح، فمع اللقمة المغموسة «دخله الشيطان» أي قوّى سلطته فيه، فقال له المسيح: «ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة». أما رفاقه فبعد كل ما قيل في مسامعهم وحدث أمام عيونهم، لم يفهموا هذا القول، ولا تصوّروا أن المسيح يشير إلى خيانة يهوذا، بل إلى أعمال خيرية هي مسؤوليته لأنه أمين الصندوق. فلما أخذ يهوذا اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً. وأيُّ ليلٍ هذا الذي ليس بعده ليالٍ أظلم منه بما لا يقاس في الدينونة الأبدية. وعن مقام عال شريف بين تلاميذ المسيح هوى منه يهوذا الآن بنفسه إلى أعماق الخيانة والقساوة، ثم اليأس والعذاب والعقاب في النار الأبدية.

سقط يهوذا من ذلك النعيم إلى هذا الجحيم تدريجياً كغيره. سقط لأنه لم يسهر

ويصل ليسلم من الطمع والرياء، فوصل إلى ما وصل إليه. وزادت قساوة قلبه لرفعة مقامه السابق، ولأنه رفض الوسائط الحسنة التي قدمها المسيح له. سار مع ميوله الفاسدة، وكان لم يزل سهلاً عليه أن يقهرها ويميتها، فقويت عليه وأهلكته.

خرج الإسخريوطي من بين التلاميذ ليفتش عن شركائه الجدد، ويخبرهم أن المسيح في المدينة، ويمكنهم أن يلقوا القبض عليه بسهولة. وارتفع عن قلب المسيح ثقل، فقال: «الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه. وأن الله سيمجده في ذاته سريعاً».

هنا تأكد التلاميذ أن سيدهم يسلم إلى مبغضيه ويقتلونه صلباً. لكنهم لم يدركوا معنى ذلك، فأوضح لهم ذلك المعنى بواسطة فريضة جديدة حسية، هي العشاء الرباني الجديد، الذي ربطه بعشاء الفصح القديم، ليسهل عليهم قبوله وفهم تعليمه.

• «وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ، وَبَارَكَ وَكَسَرَ وَأَعْطَى التَّلَامِيذَ وَقَالَ: «خُذُوا كُلُوا. هَذَا هُوَ جَسَدِي». وَأَخَذَ الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: «أَشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفِكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي مِنَ الْآنَ لَا أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ هَذَا إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حِينَمَا أَشْرَبُهُ مَعَكُمْ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ أَبِي». ثُمَّ سَبَّحُوا وَخَرَجُوا إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ» (متى ٢٦: ٢٦-٣٠).

أخذ المسيح قطعة من خبز الفطير الذي يشير إلى الخلق من الخمير العتيق والفساد، وشكر وكسر وبارك وأعطى التلاميذ، وقال: «خذوا كلوا. هذا هو جسدي المكسور لأجلكم الذي يُبذل عنكم. اصنعوا هذا الذكرى».

في الشكر ذكر المسيح تلاميذه أنه عند تناول خيرات الأرض نشكر رب السماء، مصدر كل عطية صالحة وكل موهبة تامة. وفي التفسير نذكر أنه كما أن الخبز لا يحيي الأجساد إلا بعد كسره، كذلك لا يحيي المسيح موتى الذنوب والخطايا

إلا بعد أن يتألم ويُصلب أولاً. وفي المباركة ذكّره المسيح أنه صاحب السلطان المعطى له من الأب. هو الذي بركته «تُعْنِي، وَلَا يَزِيدُ الرَّبُّ مَعَهَا تَعْباً» (أمثال ١٠: ٢٢). وفي إعطاء الخبز من يده ليدهم تذكّروا أنه هو الطريق والحق والحياة، وليس أحد يأتي إلى الأب إلا به. وفي قوله: «خذوا كلوا» ذكّره أن كل ما يعمله لأجل خلاصهم وحياتهم الروحية يذهب سُدى ما لم يأخذه روحياً، ويخصّصوا شخصه وعمله لنفوسهم فرداً فرداً بالإيمان، بفعل روحي يشابه الأكل الجسدي.

في قوله: «هذا هو جسدي المكسور لأجلكم» أوضح لهم أنه قد عيّن الخبز المكسور في هذا العشاء الجديد، رمزاً لجسده المكسور لأجل حياة العالم. سبق له من مدة سنة أن قال كلاماً قوياً لليهود في مجمع كفر ناحوم في موضوع أكل جسده وشرب دمه، بمعنى روحي. ولو أن كلامه أعرّث السواد الأعظم من تابعيه (يوحنا ٦) فليس جديداً في تعليمه أن جسده، خبز الحياة، يؤكل روحياً في ممارسة العشاء الرباني. ويكفي ذلك الكلام القديم تفسيراً لهذا الكلام الجديد، ونغياً للتفسير الحرفي الذي حذرهم منه وقتئذ.

يقصد المسيح بقوله: «هذا هو جسدي» قصداً روحياً لا حرفياً. وما ينفى التفسير الحرفي لذلك قول المسيح: «الرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلَا يُفِيدُ شَيْئاً. أَلَكَلَامِ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ» (يوحنا ٦: ٦٣). وينفيه أيضاً أن جسده لم يكن مكسوراً عندما قال: «هذا هو جسدي المكسور». بل كان سالماً، وكان الخبز موضوعاً على حدة، فلا يكونان شيئاً واحداً. ولم يتكلم في صيغة المستقبل ليؤخذ كلامه عن أمر سيحدث بعدما تكلم. وينفيه كلام الرسول بولس الذي يقول: «كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ» بعد قوله: «هَذَا هُوَ جَسَدِي» (١ كورنثوس ١١: ٢٤، ٢٦) وتنفيه شهادة الحواس التي هي وضع إلهي، والوسيلة الوحيدة لتحقيق المعجزات، لأنه لا توجد معجزة واحدة بين كل ما ذُكر في الكتاب إلا ظهر برهانها للحواس. فمعجزة تحويل الخبز إلى جسد لا تصدّقها حاسة واحدة، بل تخالف تماماً شهادة الحواس الأربع، أي البصر واللمس والشم والذوق. صحيح أن

الأمر الروحية خارجة عن شهادة الحواس وفوقها، لكن تحويل الخبز إلى جسد، أمر مادي تدرکه الحواس.

ثم ناول المسيح تلاميذه كأس الخمر بعد أن شكر، وقال: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا».

كان للدم أعظم أهمية في كل التعليم الإلهي لشعب العهد القديم، منذ أيام هابيل الذي قبلَ الله تقدمته الدموية، بعد أن رفض تقدمة أخيه غير الدموية. وكان سفك الدم أساس النظام الموسوي كله، لكن لا معنى ولا فائدة لدم التيوس والعجول والحملان في الدين، إلا كرمز لدم المسيح حمل الله الذي يُسفك لأجل رفع خطية العالم. لأنه كما أنقذ الدم الموضوع على القوائم والأعتاب في بيوت العبرانيين في مصر الأبرار من الملاك المهلك (خروج ١٢: ١٣)، ينقذ دم حمل الله الخاطئ من الهلاك الأبدي. لذلك لا تشبه كأس العهد الجديد الكأس التي شربوها بحضور الإسخريوطي والمباحة لجميع أفراد نسل إبراهيم، بصرف النظر عن صفاتهم، بل هي رمز للدم الذي بعد بضع ساعات سيُهرق على الصليب، وتُخصَّص فائدته للمؤمنين الحقيقيين.

ضرورة العشاء الرباني

في قول المسيح: «اصنعوا هذا لذكري» أوجب على كل تابعيه الأمانة - من ذلك الحين إلى أن يجيء ثانية - أن يطيعوا أمره ويمارسوا هذا السر المقدس، فتمتلى أفكارهم بذكر موته الكفاري لأجل البشر، وذكر عشاء العرس المُعدّ لجميع المؤمنين. وهو عشاء تفيض فيه كأس ابتهاجهم إذ يتمتعون بالقداسة التامة والسعادة الكاملة إلى أبد الأبد.

وهذا العشاء الرباني دليل الاشتراك الحبي بين المؤمنين وعربونه أيضاً. لذلك قال المسيح في وليمة الحب هذه: «يا أولادي، وصية جديدة أنا أعطيتكم، أن تحبوا

بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً. بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حبٌ بعضاً لبعض». هذا هو الحب الأخوي المتبادل بين المؤمنين الحقيقيين الذي يجعل الأخ في الإيمان أقرب من الأخ الطبيعي الخارج عن الإيمان.

• «حِينَئِذٍ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «كُلُّكُمْ تَشْكُونَ فِيَّ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنِّي أَضْرِبُ الرَّاعِي فَتَتَبَدَّدُ خِرَافُ الرَّعِيَّةِ. وَلَكِنْ بَعْدَ قِيَامِي أَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ». فَأَجَابَ بَطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «وَأَنْ شَكَّ فِيكَ الْجَمِيعُ فَأَنَا لَا أَشْكُ أَبَداً». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ دِيكَ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ». قَالَ لَهُ بَطْرُسُ: «وَلَوْ أَضْطَرَرْتُ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ لَا أَنْكِرُكَ!» هَكَذَا قَالَ أَيْضاً جَمِيعُ التَّلَامِيذِ» (متى ٢٦: ٣١-٣٥).

لما قال المسيح لتلاميذه إنه سيفارقهم عن قريب إلى حيث لا يستطيعون أن يأتوا تحمس بطرس واعترض كعادته، وكان كلامه جميلاً ناتجاً عن نية صادقة وحب قلبي، لكنه لم يعرف ضعفه. فاضطر المسيح أن يفهمه أنه قبل أن يصيح الديك في الصبح القادم ينكر سيده ثلاث مرات. ولئلا يفتخر التلاميذ أو يشمتوا في بطرس قال أيضاً: «كلكم تشكون فيَّ (أي تتركونني) في هذه الليلة». فتصح النبوة: «أَضْرِبِ الرَّاعِي فَتَتَشَتَّتِ الْغَنَمُ» (زكريا ١٣: ٧). كان المسيح قد أوصاهم أن يحبوا بعضهم بعضاً كما أحبهم هو، وهي وصية تقضي على كلٍ منهم أن يدافع عن إخوته، وينفي عنهم احتمال الارتداد، فخالف بطرس حالاً روح هذه الوصية في دفاعه عن نفسه وعدم دفاعه عن إخوته. لا بل سلّم ضمناً بإمكانية سقوط إخوته واستحالة سقوطه هو، فلم يتعظ بتحذير سليمان الحكيم في قوله: «قَبْلِ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلِ السَّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ» (أمثال ١٦: ١٨).

تشجيع بطرس

• «وَقَالَ الرَّبُّ: «سَمِعَانُ سَمِعَانُ، هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغْرِبَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لَا يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبَّتَ إِخْوَتَكَ». فَقَالَ لَهُ: «يَا رَبُّ، إِنِّي مُسْتَعِدُّ أَنْ أَمْضِيَ مَعَكَ حَتَّى إِلَى السَّجْنِ وَإِلَى الْمَوْتِ». فَقَالَ: «أَقُولُ لَكَ يَا بَطْرُسُ، لَا يَصِيحُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ تُنْكَرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنْكَ تَعْرِفُنِي».

• ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلَا كَيْسٍ وَلَا مِزْوَدٍ وَلَا أَحْذِيَّةٍ، هَلْ أَعْوَزَكُمْ شَيْءٌ؟» فَقَالُوا: «لَا». فَقَالَ لَهُمْ: «لَكِنِ الْآنَ، مَنْ لَهُ كَيْسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذَلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتِرِ سَيْفًا. لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ فِييَ أَيْضًا هَذَا الْمَكْتُوبُ: وَأُحْصِي مَعَ أُمَّةٍ. لِأَنَّ مَا هُوَ مِنْ جِهَتِي لَهُ أَنْقِضَاءٌ». فَقَالُوا: «يَا رَبُّ، هُوَذَا هُنَا سَيْفَانِ». فَقَالَ لَهُمْ: «يَكْفِي» (لوقا ٢٢: ٣١-٣٨).

عرف المسيح أن بطرس سيسقط سقوطاً سريعاً ومخيفاً. وأراد أن يشجعه لينهض بعد السقوط، ويحذره لئلا يفتخر بعد نهوضه، فقال له: «سمعان، سمعان، هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة. ولكني قد طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك. وأنت متى رجعت فثبت إخوتك».

من قول المسيح: «الشيطان طلبكم» نتعلم أن الشيطان يخطط أموراً كهذه، وأن الله يسمح بها أحياناً لمقاصد خيرية بحتة. ميز المسيح بطرس في شفاعته لأن سقوط بطرس سيكون أشر من سقوط رفقائه، وذلك على رغم افتخاره عليهم. لم يطلب المسيح لأجله أن لا يتزعزع إيمانه، لأن بطرس يحتاج إلى درس قوي يعلمه التواضع والتوكل - درس يتعلمه من تززع إيمانه، ومن نتيجة ذلك في إنكاره الفظيع. بل طلب المسيح أن لا يفنى إيمان بطرس كما فنى إيمان يهوذا، فشقق نفسه، وقد استُجيب هذا الطلب.

علم المسيح بطرس ما عليه من الاهتمام بإخوته المعرّضين للسقوط، لأنه يقدر أن يجعل اختباره في السقوط ثم في النهوض نافعاً لهم أيضاً. لكن بطرس أصرّ على ثقته بنفسه أنه لا يسقط، وكرر تأكيده أنه يمضي مع سيده إلى السجن وحتى إلى الموت، فاضطر المسيح أن يؤكد له بعبارة أقوى من الأولى أنه سيسقط، لكنه مع كل ذلك كرر ثلاثة اختلافه مع إعلان المسيح، وهو لا يدرك أنه بتكراره هذا يجعل المسيح كاذباً. فارتقاء المؤمن في النجاح الديني لا يرجع إلى قوته، بل يقول مع الرسول بولس: «مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ قَائِمٌ فَلْيَنْظُرْ أَنْ لَا يَسْقُطَ» (١كورنثوس ١٠: ١٢).

ثم ذكّر المسيح تلاميذه بعنايته السابقة بهم، فإنه عندما أرسلهم للكراسة لم يحتاجوا إلى شيء، لكن الأحوال تغيرت الآن. فعندما أرسلهم للكراسة الأولى كان ذلك لزمّن قصير، وفي بلادهم (لوقا ٩: ٣). أما الآن فسيسافرون طويلاً ليكرزوا وسط الغرباء، فيلزم أن يتغير الأمر، فليأخذوا معهم نقوداً. ومن ليس له نقود فليبع ثوبه ليشتري سيفاً للدفاع عن النفس ضد اللصوص. والمسيح يقصد أن يستخدم المؤمن حكمته في الدفاع عن نفسه، عندما يقف العالم ضده.

وواضح أن المسيح لم يكن يتكلم عن دفاع تلاميذه عنه بالسيف المعدني، لأنه يقول إن ما تنبأت به التوراة عن موته لا بد أن يحدث. ولما قالوا له: «يا رب هوذا هنا سيفان» قال لهم: «يكفي» وهي كلمة كان علماء الدين يستخدمونها لئسكتوا بها جهالة بعض تلاميذهم عندما لا يفهمون المعاني العميقة لتعاليمهم. وعندما لم يفهم التلاميذ قصد المسيح، قال لهم: «الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ» (متى ٢٦: ٥٢) فلم يكن المسيح يطالب تلاميذه باستخدام العنف للدفاع عنه.

١٠ - خطاب المسيح في العلية (يوحنا ١٤-١٦)

بعد أن رسم المسيح فريضة العشاء الرباني، ألقى على تلاميذه حديثاً يشغل الأصحاحات ١٤-١٦ من بشارة يوحنا. يبتدئ بقوله: «لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي. في بيت أبي منازل كثيرة، وإلا فإنني كنت قد قلت لكم. أنا أمضي لأعد لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وأخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً». أليس هذا كلاماً مدهشاً جداً من إنسان يعلم جيداً أنه قبل غروب شمس الغد يكون تلاميذه الذين يكلمهم هكذا، مشتتتين يختبئون من أمام أعدائه وأعدائهم؟ ويكون هو جثة هامدة على صليب بين لصين؟ فبأي حق يتكلم كغالبٍ وليس كمغلوب؟ وماذا نقول في كلماته التالية: «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الأب إلا بي. الذي رآني فقد رأى الأب. الحق الحق أقول لكم: من يؤمن بي، فالأعمال التي أنا أعملها يعملها هو أيضاً، ويعمل أعظم منها، لأنني ماضٍ إلى أبي. مهما سألتكم باسمي فذلك أفعله ليتمجد الأب بالابن».

ثم يأتيهم بأعظم مواعيده، لأن عليه يتوقف حُسن مستقبلهم، وكيان كنيسته، ونجاح أفرادها في كل الأزمان. قال: «أنا أطلب من الأب فيعطيك معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكن معكم ويكون فيكم. وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، وينكركم بكل ما قلته لكم». ويكرر كلاماً في ارتباط المحبة له مع حفظ وصاياه، ويبين النتيجة الجميلة لحفظ وصاياه في قوله: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً».

أي تفسير لهذا كله إلا أن المسيح - الله الذي ظهر في الجسد - يقول هذا

الكلام العظيم بسلطان إلهي عظيم... هو رئيس السلام الذي كان السلام موضوع بشارة الملائكة عند ولادته، فيقول: «سلاماً أترك لكم، سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا». ليس «عليه السلام» كالأنبياء بل «منه السلام» كما صرح بذلك الرسل في الرسائل. ولكي لا يستسلموا للحزن يقول: «لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأنني قلت أمضي إلى أبي، لأن أبي أعظم مني».

ثم تنتقل أفكاره من تلاميذه إلى ما يجري في المدينة بقرتهم في نصف الليل، لأنه يرى ما يرونه من التجمهر في دار رئيس الكهنة، استعداداً لأعظم جريمة في التاريخ. ويرى ليس فقط الرؤساء وأعاونهم، وحركات الإسخريوطي الخائن بينهم، بل يرى أيضاً رئيس الشياطين الذي يقوده هؤلاء في مكائدهم الأثيمة، دون أن يشعروا بحضوره الروحي بينهم. ووقفته ورؤيته في كلامه عند قوله: «لا أتكلم معكم أيضاً كثيراً، لأن رئيس هذا العالم يأتي، وليس له في شيء». كان للشيطان رئيس هذا العالم في كل نبي شيء. لكن ليس للشيطان شيء في ابن الإنسان، الكامل الخالي من كل خطية وخطأ.

مَثَلُ الْكَرْمَةِ

• «أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَامُ. كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْقِيهِ لِئَاتِي بِثَمَرٍ أَكْثَرَ. أَنْتُمْ أَلَا أَنْقِيَاءَ لِسَبَبِ الْكَلَامِ الَّذِي كَلَّمْتُمْ بِهِ. أُثْبِتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ دَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً إِنْ لَمْ تَثْبِتُوا فِيَّ» (يوحنا ١٥ : ١-٤).

في هذه الكلمات أوضح المسيح العلاقة المتينة بينه وبين المؤمنين به، عندما شبه ذاته بالكرمة وشبههم بالأغصان، وعلمهم أن المهم فيه وفيهم هو الإثمار،

لأن بهذا يتمجد الله.. إنه يُظهر أثماره بواسطتهم كما تُظهر الكرمة أثمارها بواسطة أغصانها. أما الذين لا يثمرون فيُقَطَّعون ويُحرقون. والوسيلة الوحيدة والكافية للإثمار هي الثبات فيه، أي الالتصاق التام به. فأياً انفصال بين الكرمة والغصن يمنع الإثمار، ويجفف الغصن ويميته. والثبوت فيه يحقق ثبوت فرحه فيه، وهذا ما يرغب ويقصد أن يتمتعوا به. وما أعجب تفكير المسيح وتكلمه بالفرح في هذه الساعة الهائلة!

ثم صرح المسيح بركن متين لإيمانهم هو أنه اختارهم قبل أن يختاروه. وجعل طاعتهم لوصيته الجديدة (التي هي المحبة الأخوية) برهان محبتهم له. وذكّرهم أنه لم يتصرف معهم حسب حقوقه كسيد مع عبده، بل كحبيب بين أحياء. ويقول برهاناً لذلك: «لأنني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي». وشجعهم لأجل سنوات الاضطهاد التي تنتظرهم قائلاً إن العالم قد أبغضه أولاً، وإنه تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلهم أنه يقدم خدمة لله، وإن سبب عدم إيضاحه لذلك من البداية أنه كان معهم بالجسد، «فليس العبد أعظم من سيده. ولا التلميذ أفضل من معلمه». وسبب بُغض العالم هو أشرف سبب، لأنهم ليسوا من العالم ليحبهم، ولأن العالم لا يعرف الأب ليحب أولاده، أو ليحب الابن الوحيد الذي نزل من حضنه في السماء. حزن التلاميذ كثيراً من كلام المسيح هذا، لأنه فوق حزنهم على تأكيده بأنه سيتركهم، طلب منهم أن يتوقعوا الاضطهاد المميت، فنبّههم إلى فوائد المصيبة الأولى، أي تركه إياهم، فقال: «لأنني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم؟ أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. لكن إن ذهبت أرسله إليكم. متى جاء ذلك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمعه يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية. كل ما هو للأب فهو لي».

ثم كرر المسيح إشارته السابقة إلى أنهم سيتركونه عن قريب وحده، ولكننا لا نجد في كلامه أقل غيظ أو مرارة، بل بالعكس. لأنه يقول: «كلمتكم بهذا ليكون لكم

فِي سَلام. في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقتوا أنا قد غلبت العالم.».

المسيح يصلي لأجل تلاميذه (يوحنا ١٧)

بعد أن انتهى المسيح من تعليمه، رفع عينيه نحو السماء في الصلاة، وقدم الصلاة المؤثرة الشفاعية التي هي أعظم ما كُتب من صلواته، وتستحق أن يدرسها المطالع بديقة في الإنجيل، وأن يلاحظ اتفاقها مع الخطاب الذي سبقها. وفيها ردد نعمة المجد ونعمة الوحدة. نراها خالية من الأنين والحزن بالرغم من الظروف الخارجية الداعية إلى ذلك، بل نراها عامرة بأصوات المجد والابتهاج والوحدة. وإليك بعض ما جاء فيها:

• «أَيُّهَا الْآبُ، قَدْ أَتَتْ أَسَاعَةٌ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ أَيْضاً، إِذْ أُعْطِيتَهُ سُلْطَاناً عَلَى كُلِّ جَسَدٍ لِيُعْطِيَ حَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ أُعْطِيتَهُ. وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. أَنَا مَجْدُّكَ عَلَى الْأَرْضِ. الْعَمَلُ الَّذِي أُعْطِيتَنِي لِأَعْمَلْ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالآنَ مَجْدِّنِي أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ عِنْدَ دَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ. «أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأُعْطِيتَهُمْ لِي، وَقَدْ حَفِظُوا كَلَامَكَ. وَالآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أُعْطِيتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ، لِأَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي أُعْطِيتَنِي قَدْ أُعْطِيتَهُمْ، وَهُمْ قَبِلُوا وَعَلِمُوا يَقِيناً أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ، وَأَمَنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ. لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي لِأَنَّهُمْ لَكَ. وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ، وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي، وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ. وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ فِي الْعَالَمِ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الْآبُ الْقُدُّوسُ، أَحْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ. الَّذِينَ أُعْطِيتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا نَحْنُ» (يوحنا ١٧: ١-١٢).

تكشف هذه الصلاة عن محبة عجيبة لا متناهية في قلب المسيح نحو تلاميذه، تتجاوز منهم إلى كل من يؤمن بالمسيح بواسطة كلامهم، ونحن منهم. وهي أساس الرجاء بالخلاص، لأنه ما دام المخلص المقتر يحب هكذا، ويتعهد للآب أن يحفظ جميع الذين أعطاهم له الآب حتى لا يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك، يحق لكل مؤمن حقيقي أن يثق بأن هذا المخلص سيحفظه ويصلحه ويقدمه أخيراً أمام عرش الآب مكتملاً.

بعد الصلاة والخطاب سبّحوا، ثم خرج المسيح ومضى كالعادة مع تلاميذه إلى عبر وادي قدرون إلى جبل الزيتون. أما تسبحتهم فكانت تلك الترتيلة التي رنموها وقت الانصراف بعد عشاء الفصح. فكم كان تأثر التلاميذ وهم يرنمون: «أَكْتَنَّفْتَنِي حِبَالُ الْمَوْتِ. أَصَابْتَنِي شِدَائِدُ الْهَآوِيَةِ. كَابَدْتُ ضَيْقًا وَحُزْنًا. الرَّبُّ لِي فَلَا أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي الْإِنْسَانُ. أَلْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّوَايَةِ. مِنْ قَبْلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا. مُبَارَكٌ الْآتِي بِأَسْمِ الرَّبِّ. بَارِكْنَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الرَّبِّ. الرَّبُّ هُوَ اللَّهُ وَقَدْ أَنَارَ لَنَا. أَوْثِقُوا الدَّبِيحَةَ بِرُبُطِ إِلَى قُرُونِ الْمُدْبَحِ. أَحْمَدُوا الرَّبَّ لِأَنَّهُ صَالِحٌ، لِأَنَّ إِلَى الْأَبَدِ رَحْمَتُهُ» (مزامير ١١٦: ٣، ١١٨: ٦ و ٢٢-٢٩).

مسابقة الكتاب

عزيزي القارئ،

إن أرسلت إلينا إجابة صحيحة على عشرين سؤالاً من الأسئلة الخمسة والعشرين التالية، نرسل لك كتاباً جائزة من كتبنا المختلفة. نرجو أن ترسل مع الإجابة اسمك وعنوانك واضحاً لنرسل لك الجائزة.

١. اذكر أسماء الأمثال الثلاثة التي رواها المسيح في لوقا ١٥ ولماذا رواها؟
٢. كيف ظهرت توبة الابن الضال؟
٣. ما هو الشيء الذي لا يتأنى فيه الخالق أبداً؟
٤. اذكر درساً تتعلمه من مثل الابن الأكبر.
٥. اذكر درساً تتعلمه من مثل الوكيل الظالم.
٦. اذكر فائدة حصلت عليها من مثل الغني ولعازر.
٧. ماذا كانت نبوة قيافا عن المسيح؟
٨. اذكر فائدة حدثت من إقامة لعازر من الموت.
٩. ما هي الآية الجميلة التي قالها المسيح عن الأطفال؟ اكتب شاهدها.
١٠. لماذا قال المسيح للشباب الغني: «ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله؟»
١١. ماذا تفعل لو أردت أن تكون أولاً؟
١٢. كيف برهن زكا أنه قد حصل على الخلاص؟
١٣. لماذا قبل المسيح أن يحتقل به الشعب كملك يوم الدخول الانتصاري لأورشليم؟
١٤. لماذا بكى المسيح على أورشليم؟

- ١٥ . ماذا تتعلم من لعن التينة غير المثمرة؟
- ١٦ . بأي سلطان طهر المسيح الهيكل للمرة الثانية؟
- ١٧ . لماذا رفض المدعو للعرس أن يلبس الحلة الملكية؟ وما هو الدرس الذي تتعلمه من هذا؟
- ١٨ . كيف برهن المسيح أن الله إله أحياء؟
- ١٩ . ما هي أعظم وصية؟
- ٢٠ . اشرح مزمور ١١٠ : ١ .
- ٢١ . ماذا يعلمنا مثل العذاري الحكيمات والجاهلات؟
- ٢٢ . ما هي العلامة التي تميز الخراف من الجداء؟ (انظر متى ٢٥ : ٣١ - ٤٦) .
- ٢٣ . اذكر درسين تعلمتهما من غسل المسيح أرجل تلاميذه .
- ٢٤ . كيف ترى أن المسيح قصد بقوله: «هذا هو جسدي» قصداً روحياً لا حرفياً؟
- ٢٥ . ما هي علاقة الكرمة بالأغصان - وكيف تصف هذه العلاقة صلة المؤمن المتينة بالمسيح؟

Call of Hope . P.O.Box 10 08 27 . 70007 Stuttgart . Germany